شرق الأردنّ في عهد مملكة بيت المقدس اللآتينيّة (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)

الباحثة: مريم ملهي النويران
أ.د. عليان عبدالفتاح الجالودي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة آل البيت/ المملكة الأردنية الهاشمية

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٧/٢
تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٧/١٢

الملخص

تهدف هذه الدراسة للإجابة عن الاسئلة المطروحة حول الدور الإستراتيجي الذي مارسته منطقة شرق الأردن في فترة الحروب الفرنجية، عهد مملكة بيت المقدس على وجه التحديد، وما أثر الجغرافيا التاريخية للمنطقة في النزاعات القائمة بين أطراف الصراع آنذاك سواء الفرنجة، أو الفاطميين، أو السلاجقة، أو الزنكيين، أو الإيوبيين، وما الأهمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة شرق الأردن لأطراف الصراع، والجهود المبذولة للسيطرة عليها، وهل أثر الغزو الفرنجي على أوضاع السكان المستقرين في المنطقة والقبائل البدوية؟، وتناول الباحثان بالاستناد على المصادر الأولية والدراسات الحديثة التسمية الجغرافية التاريخية لشرق الأردن واوضاعها السياسية والتقسيمات الإدارية خلال فترة حكم مملكة بيت المقدس الفرنجية للمنطقة .

الكلمات المفتاحية: شرق الأردنّ، مملكة بيت المقدس، الفرنجّة، الأيوبيين.

East of Jordan During the Latin kingdom of Jerusalem era (492-583 AH/1099-1187 AD)

Maryam Melahi AL-Nuwairan
Prof Dr. Elian Abdul Fattah Al-Jaloudi

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

Abstract

This study comes to highlight the general conditions in east of Jordon in the Latin kingdom of Jerusalem. This study discuss geographic nature, political and administrative life for this region and how was the Frankish incursion into the region? Which enabled them to annex the largest possible piece of land Which necessitated the study of the military situation of the region, as it was an area of continuous conflict between the Islamic and Frankish forces at that period, and the impact of this conflict on economic and social life.

Keywords: East of Jordan, kingdom of Jerusalem, Frankish, Ayyubid

المقدمة

تعد الحملات الفرنجيّة على المشرق الإسلامي من أكثر الأحداث التاريخيّة التي تناولها المؤرخين بالدراسة والتحليل، لما ترتب على هذه الحملات من تغيير كبير على الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في بلاد الشام، والتي ما تزال أثارها موجودة على النسيج الاجتماعي والثقافي حتى الوقت الحاضر ، ومن هنا كان لا بد من تسليط الضوء على منطقة شرق الأردنّ كونها كانت جزء مهم من مملكة بيت المقدس اللاتينيّة (Latin Kingdom of Jerusalem)، وتكمن أهمية منطقة شرق الأردنّ كونها منطقة حدودية مع القوى الإسلامية في كل من بلاد الشام ومصر، إضافة إلى أنّها معبر للقوافل التجاريّة البريّة في ذلك الوقت .

وجاءت هذه الدراسة لتوضح طبيعة الأوضاع في هذه المنطقة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ولهذا اشتمل البحث على تمهيد تناول هجرات القبائل العربيّة إلى جنوب بلاد الشام، وتوزعها في منطقة شرق الأردنّ، ثم الحديث عن الجغرافيا التاريخيّة لشرق الأردنّ، ومناقشة الأوضاع السياسيّة والإداريّة لشرق الأردن في فترة حكم الفرنجة للمنطقة، ومن ثم تتبع الوضع العسكري فيها كونها منطقة حدودية بين الفرنجة والمسلمين، وأخيرا يأتي بيان الأثر السياسي والعسكري على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في شرق الأردن.

ومن هنا كان لا بد من الاعتماد على العديد من المصادر الأولية التي عاصرت حقبة الوجود الفرنجي في الشرق لعل أبرزها: تاريخ دمشق للقلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ومفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب لابن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، و النوادر السلطانيّة لابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، والروضتين لأبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، كما اعتمدت الدراسة من المصادر الفرنجية من أبرزها كتاب تاريخ الحملة إلى القدس لفوشيه الشارتري (Foucher of Chartres) (ت١١٢٧ م)، و كتاب الحروب الصليبية لوليم الصوري (William of Tire) (ت ١١٨٥م) وغيرها من المصادر، كما أفادت الدراسة من العديد من المراجع والدراسات الحديثة بهدف إعطاء صورة متكاملة للأحدث التاريخية .

ولم تكن هذه الدراسة الأولى من نوعها في هذا المجال حيث قدمت رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان إقطاعية طبرية في الصراع الصليبي الإسلامي (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م) للباحث فؤاد عبدالرحيم الدويكات عام ١٩٩٦م، واطروحة دكتوراه غير منشورة للباحث نفسه في عام ٢٠٠٥م تحمل عنوان إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٩م). ، في جامعة اليرموك / المملكة الإردنية الهاشمية ، وجاءت هذه

الدراسة لإضافة للتوسع أكثر بدراسة الوضع العام لمنطقة شرق الأردن حصراً في تلك الفترة .

التمهيد

كان لبلاد الشام أهمية جغرافية منذ أقدم العصور كونها تتوسط طرق التجارة العالميّة، ولقربها من المراكز الحضارية الكبرى في حوض النيل وبلاد الرافدين والحضارات اليونانية والرومانية كما كانت معبراً لشعوب الجزيرة العربية باتجاه الشمال في حقبة الهجرات العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها .

وتعزى أسباب الموجات المتتالية من الهجرات العربية باتجاه بلاد الشام إلى عوامل مناخية أثرت على الجزيرة العربية لفترات متلاحقة، وكان أبرز هذه العوامل، الجفاف ، ومحدودية مصادر الماء والمراعي ، الذي اضطر قبائل عربية عدة للهجرة إلى بلاد الشام والعراق ومصر في الفترة من ٢٥٠٠ إلى ١٥٠٠ (ق.م)[١].

وبدأ التوزيع القبلي في جنوب بلاد الشام يأخذ ملامحه في القرون الميلادية الأولى إذ سكن المنطقة الممتدة من أيلة وهي مدينة ساحلية تقع على البحر الأحمر جنوب بلاد الشام حتى حوران وهو سهل زراعي جنوب دمشق في الشمال مجموعة من القبائل العربية اليمانية، وكانت قبيلة سليح[٢] من أقدم القبائل العربية التي توطنت في جنوب بلاد الشام حيث هاجرت من اليمن جنوب الجزيرة العربية في القرن الثاني الميلادي واستقرت في البلقاء[٣].

كما امتدت قبائل عربية أخرى في نفس المنطقة من جنوب البحر الميت إلى جنوب فلسطين كقبيلة لخم[٤]، وقبيلة بني كلب[٥] الذي امتد نفوذهم في شمال الجزيرة العربية إلى جنوب بلاد الشام[٦].

كما هاجرت قبيلة قضاعة اليمانية إلى الاطراف الجنوبية من بلاد الشام بسبب موجات الجفاف ونقص مصادر الكلأ والماء التي توالت على الجزيرة العربية، وكانت هذه القبيلة تعرف بين العرب بطابع البداوة، إذ ترجع إلى معد[٧]، وتوزعت قبيلة قضاعة في جنوب بلاد الشام إلى مجموعة من الفروع[٨] التي استوطنت في مناطق شتى في بلاد الشام.

وبدأ استقرار الغساسنة[٩] في بلاد الشام مع قدوم الملك الغساني عمرو بن جفنة[١٠] (٢٦٥-٢٧٠م) وهو أول ملوك الغساسنة في الشام، وقد نزل في البلقاء فلما علم قيصر الروم غالينوس (Gallienus) (٢٥٣-٢٦٨م) بذلك جمع جيش روما مع بعض قبائل العرب في المنطقة بهدف محاربته، لكن قبيلة سليح رفضت قتال غسان، إذ كان مركز قبلية سليح في جنوب بلاد الشام، مع قبيلة تنوخ[١١] وقبيلة عذرة[١٢] وهذه القبائل جميعها حاربت مع الروم ضد الفرس[١٣] إلا أنها رفضت القتال لجانب روما ضد العرب، مما ساعد الغساسنة على قتل عدد كبير من الرومان في البلقاء[١٤]، وبذلك فرضت القبائل العربية سيطرتها على جنوب بلاد الشام

بالرغم من أنهم أصبحوا عمال بيزنطة لاحقاً، إلا أنهم كانوا فعلياً هم المسيطرين على المنطقة حتى عهد النبوة ، ومع ظهور الإسلام أعلنت العديد من قبائل جنوب بلاد الشام إسلامها بعد أنّ وفدوا على الرسول صلى الله عليه وإله وسلم في العام التاسع للهجرة منها:

١.قبيلة جذام[١٥] وهي قبيلة انتشرت في جنوب بلاد الشام من آيلة إلى أذرح ومعان وعمان ونزل جزء منهم على بحيرة طبريا، ومن فروع قبيلة جذام قبيلة بني صخر[١٦] وبنو نفاثة[١٧] وكانوا زعماء معان ومنهم فروة بن عمرو الجذامي[١٨] عامل الروم على عمان، ووصلت مناطق امتدادهم إلى البلقاء وكان فروة يقيم على عين ماء عفرا[١٩] جنوب عمان[٢٠].

٢.قبيلة لخم[٢١] وهي من قبائل العرب التي امتدت على طول الحدود الشرقية لبحيرة طبريا وحوض نهر الأردنّ .

٣.قبيلة طيء[٢٢] وامتدت أراضيهم من غزة حتى الخليل، وأطراف وادي موسى جنوب بلاد الشام[٢٣] .

ومن الأمور التي سهلت عملية الفتح العربي الإسلامي لمنطقة شرق الأردنّ هو أنّ سكان المنطقة بالأساس من قبائل العرب اليمانية وكان أغلبها من قضاعة أو غسان[٢٤]، فكانت قبائل قضاعة من بلي وعذرة من أوائل القبائل التي انضمت لجيوش المسلمين في عمليات الفتح العربي الإسلامي[٢٥] إلا أنّ عدد من أبناء قبائل بلي وبهراء وتنوخ ولخم وجذام وغسان فضلت دخول الحرب إلى جانب بيزنطة واجتمعوا في زيزياء[٢٦] لمحاربة المسلمين[٢٧] ويرجع السبب في دخول عدد من العرب في حلف بيزنطة كونهم عمال لها في جنوب بلاد الشام، إضافة إلى أنّ هذه القبائل كانت تدين بالمسيحية وهي الديانة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية آنذاك، ولكن كان ثلث الجيوش الإسلامية التي شاركت في فتح جنوب بلاد الشام هي من قبائل الأزد[٢٨] اليمانية[٢٩]، فيما دخل جبلة بن الأيهم الغساني[٣٠] في حلف بيزنطة في معركة اليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م، ودخل معه جزء من قبائل لخم وجذام[٣١]، وبعد معركة اليرموك اعتنق عدد كبير من القبائل العربية المتنصرة، الدين الإسلامي[٣٢].

وبذلك يلاحظ أنّ الأغلبية العظمى لسكان شرق الأردنّ منذ ما قبل الإسلام حتى الفتوحات العربية الإسلامية هي قبائل عربية يمانية ترجع أصولها إلى قبائل كهلان القحطانية، وبعد الفتوح الإسلامية بقيت هذه القبائل محافظة على أماكن توزعها الممتد من أذرح في الجنوب حتى البلقاء[٣٣] ثم طبرية وحوض نهر اليرموك وحوران في الشمال[٣٤].

وفي العصر الأموي بدأت العصبية القبلية تظهر بين القبائل العربية العدنانية[٣٥] والقحطانية[٣٦] في بلاد الشام كون العدنانية يتفاخرون بأن بني أمية منهم وكان هؤلاء من البطون التي ينحدر منها كبار الصحابة[٣٧]، ومع ذلك لم تُغيّر قبائل قضاعة القحطانية أماكن تواجدها

إذ بقيت تتركز في شرق الأردنّ في العصر الأموي من آيلة إلى الكرك ومشارف بادية الشام وصولاً إلى بادية السماوة جنوب العراق، وأجزاء منهم سكن في غور الأردنّ كقبيلة لخم وكان تجمعهم في الغور بسبب المياه وهذا ما مهد لظهور الطابع الزراعي وتحولهم لفلاحين مستقرين فيما بعد[٣٨].

ومما تقدم يتضح أنّ التوزيع السكاني الممتد على طول الضفاف الشرقية لحوض نهر الأردنّ الشرقي هو طابع قبلي وأنّ أغلب السكان لهذه المنطقة هم من قبائل يمانية سكنت المنطقة قبل الإسلام أو هاجرت بعد الفتح العربي الإسلامي بهدف ممارسة النشاط الزراعي، حيث بدأت هذه القبائل تهتم بالأرض وممارسة الزراعة، وكانت الأراضي الواصلة من حوران إلى البلقاء في الأصل اقطاعات سابقة لأمراء بيزنطة، وتوسع العمل في الزراعة في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي وكانت تقسم الأراضي في مناطق القبائل إلى أرض مشاع على أطراف البادية تزرع فيها الحبوب، وأراضي الملكيات الخاصة حول القرى الزراعية حيث ظهرت الملكيات الصغيرة للفرد أو للقبيلة ونشوء المجتمعات القروية المعتمدة على الزراعة حول منابع المياه، وتطور أساليب الري، ولعل أبرز أسباب فشل ثورة المبرقع اليماني[٣٩] في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) هو تخلي الفلاحين الذين انضموا للثورة وعودتهم إلى قراهم بسبب حلول موسم حراثة الأرض في الخريف [٤٠] وهذا يعطي مؤشراً يدل على مدى التحول الفكري الذي حدث عند القبائل العربية، حيث كانت معظم القبائل تعلي من شأن القتال والفروسيّة و الثورات سابقاً، إلا أنّ اهتمامهم تحول للزراعة والاستقرار والتخلي عن حياة التنقل والترحال.

وقبل قدوم الحملة الفرنجة الأولى إلى بلاد الشام شهدت منطقة جنوب بلاد الشام صراع كبير بين السلاجقة[٤١] والفاطميين[٤٢] في دمشق في فترة كانت الولايات الإسلامية خارج سيطرة الدولة العباسية في المركز، إذ يمكن القول بأن القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي هو عصر النزاع بين القوى الإسلامية على أرض الشام وكان هذا الصراع أحد الأسباب التي هيأت لقدوم الحملات الفرنجية فقد رأى الفرنجة في تفكك القوى الإسلامية فرصة للاستيلاء على مساحات واسعة من بلاد الشام[٤٣]، وفي هذه الأثناء كانت القبائل البدوية في حالة تنقل بحسب الموسم الزراعي إذ كانت تقضي شهور فصل الصيف في حوران بسبب طابع الحصاد، ثم تنتقل في الشتاء إلى وادي الأردن أو العراق وهذه الفئة تعتبر فئة ريفية تتنقل بين القرى والبادية، وكانت الأراضي التابعة لكل قرية مشاع بين أهلها تقسم بالتراضي بينهم، فيما يباع فائض المنتجات الزراعية والحيوانية وصناعة المنسوجات والمواشي على القوافل التجارية وقوافل الحج التي تمر بالقرب من أماكن سكناهم، أو يتم بيعها في أسواق دمشق[٤٤]، ولكن استبداد بعض

الولاة ترك آثاره السلبية على النشاط الاقتصادي في المنطقة فعلى سبيل المثال تولى حصن الدولة معلى بن حيدرة[٤٥] (٤٦١- ٤٦٨هـ/١٠٦٩-١٠٧٦م) حكم دمشق سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وزعم أن الخليفة المستنصر الفاطمي (٤٢٧-٤٨٩هـ/١٠٣٦- ١٠٩٦م) قد ولاه على دمشق، وفي عهده زادت الضرائب والظلم على الفلاحين لدرجة أن قرى كاملة هجرها أهلها بسبب ما عانوه من ظلم وضرائب ومصادرة ممتلكاتهم، إلا أنه خشي من الثورة فهرب وترك دمشق[٤٦]، التي استولى عليها الأمير رزين الدولة انتصار بن يحيى[٤٧]، (٤٦٨-٤٦٨هـ/ ١٠٦٩-١٠٦٩م)، وبالرغم من أنه لم يحكم دمشق سوى بضعة أشهر[٤٨]، إلا أنّ فترة حكمه كانت من أسواء الفترات التي مرت على دمشق على وجه الخصوص وجنوب بلاد الشام بشكل عام حيث اشتد الغلاء وانعدمت الأقوات، حتى أكل الناس الجيف بسبب الجفاف، وأدى ذلك إلى وقوع خلاف بين أمراء دمشق مما زاد الوضع سوءاً[٤٩] وكان لمثل هذه الاضطرابات السياسية أو الظواهر الطبيعية أثرها على استقرار السكان في منطقة شرق الأردنّ، والتي هيأت الطريق أيضاً أمام زحف الحملات الفرنجية باتجاه بلاد الشام حيث سقطت القدس في يد الفرنجة بعد الحملة الفرنجيّة الأولى، وبذلك قامت مملكة بيت المقدس اللاتينية رسمياً على أرض بلاد الشام إثر احتلال الفرنجة لبيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٥٠].

أولاً: الجغرافيا التاريخيّة لشرق الأردنّ في عهد مملكة بيت المقدس اللاتينيّة

الأردنّ: تلفظ أُردنّ بضم الألف وتسكين الراء وتشديد النون وهو نهر في الشام، يرفد بحيرة طبريّا[٥١]، وجاءت تسمية أرض الأردنّ ابتداءً، نسبة إلى نهر الأردنّ وهو نهر يتوسط بلاد الشام، ويذكر أنّ لنهر الأردنّ تسميتان الأردنّ الكبير الذي يصب في بحيرة طبريّا، والأردنَ الصغير الذي يخرج من طبريّا ويصب في البحر الميت[٥٢]، كما تداول اسم نهر الشريعة دلالة على نهر الأردنّ في فترات مختلفة من العصور الإسلامية[٥٣]، وفي العصور الفرنجيّة تم تداول مصطلح ما وراء الأردنّ من قبل المؤرخين الفرنجة، للدلالة على الأراضي الممتدة خلف نهر الأردنّ[٥٤]، كما يذكر الشارتري أنه بعد دخول الفرنجة إلى بيت المقدس توجه أمراء الحملة إلى مياه نهر الأردنّ وبعد أنّ استحموا في النهر وجمعوا سعف النخل من الضفة الشرقيّة تجولوا في المنطقة لاستكشافها وصولاً إلى البحر الميت[٥٥] فيما كانت تسمى الأراضي الممتدة شرق نهر الأردنّ باسم إقطاع الأردنّ[٥٦] قبل استحداث إمارة الكرك، بعد بناء قلعتها في عهد الملك فولك (Fulk of Jerusalem) (٥٢٥هـ- ١١٣١م/٥٣٧هـ-١١٤٣م) ملك بيت المقدس سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م[٥٧].

الجغرافيا التاريخيّة لمنطقة شرق الأردنّ : تقع إقطاعية الأردن[٥٨]، جنوب بلاد الشام بشكل طولي من بحيرة طبريّا في الشمال حتى آيلة "العقبة" في الجنوب وضمن عمق صحراوي

يشمل الأطراف الجنوبية الشرقية لجنوب بلاد الشام، أو ما يتعارف عليه جغرافيّا باسم بادية الشام، وأطلق على نهر الأردنّ في فترة الوجود الفرنجيّ جنوب بلاد الشام اسم نهر الشريعة[٥٩] ويمتد النهر من حوض نهر الحاصباني جنوب لبنان ثم يصب في بحيرة طبريّا ويتابع سيرة من بحيرة طبريّا حتى البحر الميت وهذه المنطقة تعرف باسم الغور، وهو وادي يخضع لمزايا الإقليم المداري الحار، وأما المناطق الممتدة جنوب البحر الميت تعرف بوادي عربة وتصل إلى العقبة وهي مجموعة من الخوانق والمنحدرات الجبيلة الوعرة، وللشرق يرتبط نهر الأردنّ بمجموعة من الأودية المرتبطة بوادي نهر الزرقاء[٦٠]، وتشمل عجلون وجرش والسواد[٦١] وفحل وصولاً إلى درعا[٦٢].

وتشمل منطقة شرق الأردنّ مجموعة من المناطق التي تختلف بخصائصها الطبيعية ولعل أبرزها في الشمال طبريّا التي تقع على سفح جنوب دمشق وتشتهر ببحيرتها التي ترفد نهر الأردنّ باتجاه الجنوب، وهي بحيرة مياهها غزيرة، وفيها العديد من ينابيع المياه الحارّة التي توفر التّدفئة للمدينة في الشتاء، وتعتبر واحدة من أشهر كور جند الأردن[٦٣] ، وينحدر من هضبة الجولان مجموعة من الأودية العميقة والخوانق الضيقة، ويزيد عدد الأودية عن عشرين وادياً تشكّل عوائق طبيعيّة للحركة تجبر المتحرّك فيها على اختيار مسارات معينة[٦٤]، وتتوافر في هذه المنطقة مياه عذبة تكوّنت من تجمّعات الأمطار من الأودية والينابيع الصّغيرة[٦٥]، كما تعتبر عجلون أيضاً من المناطق المرتفعة ذات الموقع الحصين المطلّة على غور الأردنّ وهي منطقة مشرفة على مساحات واسعة من جنوب بلاد الشّام، وتتوفر فيها المياه العذبة[٦٦]، ولذلك تمّ اختيارها لإقامة قلعة الرّبض، ذلك لأن جبال عجلون ظلت حصينة يصعب الإقامة فيها أو المرور منها طوال العهود التّاريخيّة السّابقة، حتى قام الجيش الأيوبيّ ببناء قلعة فوق جبل عوف؛ أطلق عليها اسم قلعة الرّبض سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، أي قبيل معركة حطّين الفاصلة بثلاث سنوات فقط، بالإضافة إلى جبل الصّلت المرتبط جغرافيّا بجبل عوف[٦٧].

وأما بالنسبة لمناطق الجبال الجنوبية شرق حوض نهر الأردنّ، يلاحظ أنّها تتّصف بالشّكل الجغرافيّ الآتي: هي مجموعة جبال محيطة بغور الأردن على ضفتيّ الوادي، وتتّصف بأنّها جبال عالية يتراوح ارتفاعها بين ١٤٠٠ إلى ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر، وهو امتداد طبيعي لسلسة جبال بلاد الشّام الغربيّة، ويصل امتداد هذه السلسلة إلى جبال الشّراة في الجنوب وتعتبر حداً فاصلاً بين الجبال في الغرب والصّحراء في الشّرق، وبشكل عام تعتبر تضاريسها معقدة ومنيعة في الوقت ذاته ، وتعتبر حجارة الجرانيت الصلبة مصدراً مهما في بناء الأسوار والتّحصينات الدّفاعيّة وهي حجارة منتشرة شرق فلسطين وغرب الأردن بكثرة، فهذه الأرض ذات الطّابع الصّخريّ ساعدت على تكوّن جداول صغيرة تصب في البحر الميت الغنيّ بمادة القار

والاسفلت التّجاريّتان، وهو ما هيأ لهذا الطريق أن يكون طريقاً تجاريّاً، كما اعتبر ثغراً حربياً فاصلاً بين قوى المتحاربة آنذاك، بالإضافة إلى أن وفرة الينابيع ساهمت في قيام تجمّعات حضاريّة صغيرة وقيام أنشطة زراعيّة، كل هذه العوامل وغيرها أدّت إلى التفات الملك بالدوين الأول (Baldwin I of Jerusalem) (٤٩٣-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك مملكة بيت المقدس الفرنجيّة في بدايات توسّعه نحو الضفّة الشّرقيّة من نهر الأردن سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م، لإقامة قلعته الشّهيرة مونتريال في الشّوبك[٦٨].

والشّوبك ذات طبيعة خصبة وسط صحراء قاحلة فلو تم التمعّن في الأراضي الواصلة بين البحر الميت والعقبة مروراً بالنّقب لا يوجد إلاّ الشوبك ذات طبيعة خصبة، إضافة إلى أنّ جبالها مرتفعة وحصينة، وتبعد مئة ميل عن أقرب حامية فرنجيّة، لذلك أقام عليها الملك بالدوين الأول قلعته التي ترك بها حامية وذخيرة وأرسل لها مؤناً في السنة التّالية[٦٩]. وبتحليل صفات هذا الموقع نجد أنّه عبارة عن موقع مثالي وجد فيه الملك بالدوين الأول ضالته فهذا الموقع جمع بين الحصانة ووفرة المياه والسيطرة على طرق التجارة، وحيث إنّ القلعة لا تبعد عن البحر الميت إلّا مسيرة يومان، وكان الهدف من تشييدها على جبل يطلّ على مملكة بيت المقدس هو حماية المصالح الفرنجيّة في المناطق الشرقيّة المفتوحة على الصّحراء، لذلك قرّر الملك بالدوين الأول زيارة قلعته الجديدة ومنها أكمل السّير إلى شواطئ البحر الأحمر لاحتلال ساحل آيلة في السنة التالية [٧٠].

وأما مدينة الكرك الواقعة على الضفّة الشّرقيّة لنهر الأردن وهي مدينة ذات طبيعة جبليّة حصينة واقعة بين آيلة والبحر الأحمر والقدس، تشتهر بجبالها العالية و أوديتها السّحيقة[٧١]، ويعود تاريخ المدينة إلى العصور المؤابيّة والأشوريّة ثم الأنباط ثم الرّومان فالبيزنطيّين ، ثم أصبحت تابعه للحكم العربي الإسلامي حتى قدوم الحملة الفرنجية الأولى ، وبالنسبة إلى حصنها فأنه يعود لعصور قديمة، ولكن بنيت القلعة بشكلها النّهائي في عهد الملك فولك سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م[٧٢].

ومع بداية قدوم الفرنّجة لمنطقة شرق الأردنّ واجهوا العديد من المشاكل كان أبرزها، جهل الفرنجة بادئ الأمر بالمنطقة، ولأنّهم لم يواجهوا خطراً حقيقياً منها ظنّوا أنّها مناطق فارغة من أيّ مورد بشريّ أو اقتصاديّ، ولكن ثبت لهم العكس بعد رحلة الاستكشافات التي قام بها الملك بالدوين الأول بنفسه، ومن الأمور التي كانت تعيق حركة الفرنجة خاصّة في المناطق الصحراويّة الدّاخليّة كثرة الثّعابين، حيث لم يكن الفرنجة معتادين على التعامل معها[٧٣] ، كما أن تعرّض الفرنّجة للدغات متكرّرة من الثّعابين كان سيؤثر على عددهم العسكري القليل الأمر الذي كان يخشاه الفرنجة .

ولكن مع هذا يوجد إشارات إلى عبور الأمراء الفرنجة لنهر الأردنّ ووصولهم لمكان تعميد السيد المسيح عليه السلام شرق النهر ثم الوصول إلى مقام النبي هارون عليه السلام في البتراء[٧٤]، وسبب ذلك أنّ واحداً من أبرز أهداف حملتهم كان هدفاً دينيّاً، فكان يجب الوصول إلى المناطق المقدسة، وإقامة طقوس الحج الدينيّ، وفي السنة التالية أي ٤٩٣هـ/١١٠٠م، عاد الفرنجة ليستكشفوا المنطقة جغرافيّاً، ليتعرّفوا على أبعاد البحر الميّت الجغرافيّة ثمّ جاءوا ليتأكّدوا من ملوحة المياه، وكيفيّة الاستفادة منها فيقول فوشية الشارتري، أنّه جرّب الماء بنفسه ليتأكد من ملوحته[٧٥]، ثم أكمل شهادته بإعطاء وصفا كاملاً لمحيط البحر الميت حيث يقول : البحر الميّت الميّت هو بحر يتغذّى من نهر الأردن في الشّمال، مغلق من الجهة الجنوبيّة، محاط بتلال ملحيّة كبيرة، وفي القرى المحاذية للبحر الميّت من الجنوب كانت أشجار النّخيل تحمل الثّمار، وأهلها قد هربوا منها مع سماعهم بوصول الحملة الفرنجيّة، ثم أكمل الفرنجة طريقهم يجوبون القرى التي فرّ منها أهلها مع ممتلكاتهم إلى الكهوف في الجبال المحيطة ، وتابعوا السّير حتّى وصلوا إلى منطقة وادي موسى في الجنوب، ثم تابع الفرنجة المسير وصولاً إلى البتراء ومقام النّبي هارون عليه السّلام وتوقّفوا هناك لأنّهم رأوا أنّ الأراضي بعد ذلك جرداء لا طائل من التّوغل فيها أكثر، وسرعان ما عادت الحملة إلى القدس بعد أن استكشفت المنطقة و وجدوا في منطقة وادي موسى ما هو مشجع من وفرة المياه وكثرة المزروعات[٧٦].

وبالعودة للحديث عن التّوسّع الفرنجيّ في العشرين سنة الأولى من تاريخ مملكتهم من (٤٩٢هـ/١٠٩٩م) إلى (٥١١هـ-١١١٨م)، حينها لم يكن نهر الأردنّ يشكل عائقاً جغرافياً ذا أهميّة كبيرة أمام تحرّك الفرنجة لأنّه بالأصل ضحل المياه، وبذلك لا يعتبر حداً نهائياً لمملكة بيت المقدس من الجهة الشرقيّة بل تجاوز الفرنجة نهر الأردنّ إلى مناطق أوسع في الشّرق حتى الوصول إلى أطراف الصحراء، فبعد أن فشل الأمير تنكريد (Tancred of Hauteville) في التّوسع على السّاحل قرر أن يتوسّع في المناطق الدّاخلية حيث عبر نهر الأردنّ باتّجاه الشّمال الشّرقيّ وصولاً إلى السّهول الغنيّة بالغلال جنوب دمشق فقام بنهبها، الأمر الذي كان سيؤدي إلى وقوع مجاعة في دمشق[٧٧]، وهنا أصبح نهر الأردنّ والرّوافد التّابعة له من ضمن المناطق الدّاخلية لمملكة بيت المقدس، وبدأ الخلاف على تقسيم أراضي طبريّا وسواد الأردنّ والجولان التي كانت مشتركة بين الفرنجة والمسلمين سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م[٧٨]، إذ كان الخلاف قائم بين الفرنجة والسلاجقة وأبناء قبائل عوف على أحقية ملكية هذه الأرضي، وبعد صراع مستمر بين الملك بالدوين الأول والسلاجقة تم الاتفاق أخيراً على المقاسمة بمبدأ الثلث فحصل الفرنجة على الأراضي الغربية المتاخمة لبحيرة طبريا بينما حصل أبناء القبائل على الجزء الجنوبي المتاخم لعجلون، وحصل السلاجقة على الجزء الشمالي المتاخم لدمشق[٧٩].

وأصبحت بحيرة طبريّا حداً طبيعيّاً بين ممالك الفرنجة على السّاحل والإمارات الإسلاميّة في الدّاخل، إذ تعد البحيرات من المناطق الاستراتيجيّة في الخطط الحربيّة فهي تضاريس يسهّل الالتفاف حولها دون الحاجة إلى عبورها(٨٠) ولعلّ بحيرة طبريّا مثال بارز على حسن التّحكم في المجريات الحربيّة، حيث إنّ الفرنجة بدأوا باستكشاف الوضع الجغرافيّ للبحيرة كونها موقع استراتيجيّ مهم، فمنذ وصول الحملة الفرنجيّة الأولى وجدوا أن البحيرة كبيرة نوعاً ما تصل أبعادها إلى ثمانية عشر ميلاً في خمسة أميال وهي محاذية لسفوح لبنان الجنوبيّة حيث ينبع نهر الأردنّ ويكمل مسيره بعدها وصولاً إلى البحر الميت(٨١).

وبالرغم من انشغال الملك بالدوين الأول على جبهة الشّمال في أنطاكية، إلا أنّه في نفس الوقت أهتم بالأحواض النّهريّة كعامل اقتصاديّ ومعيشيّ مهم، حيث إنّه تنبّه جيّداً إلى أهميّة حوض نهر الكلب جنوب جبال لبنان في مسيره باتّجاه بيت المقدس، فوضع لنفسه أبعاداً جغرافيّة بدأت من حوض نهر الكلب ثم بدأ يتوسّع بالتّدريج نحو عسقلان في الجنوب والتي عجز عن فتحها، ليحوّل بوصلة سيطرته إلى الخليل والنّقب، ثم أطراف البحر الميت وصولاً إلى الشّراة ومقام النّبي هارون عليه السّلام في البتراء في شرق الأردن (٨٢).

وبالرغم من عدم حدوث أيّ اشتباكات حقيقيّة في البوادي الشرقية، إلاّ أنّ منطقة الجنوب الشّرقيّ المفتوحة على الصّحراء كانت تؤرّق الملك بالدوين الأوّل على الدّوام، لذلك توجّه بعد سنة ٥٠٤هـ/١١١١م إلى محاولة السيطرة على المنطقة الجنوبية الشرقية، فالمنطقة الممتدّة من البحر الميّت ثم النّقب فالعقبة هي صلة وصل بين القاهرة ودمشق، وهنا خشي من تصاعد التّحالف بين السلاجقة والفاطميّين، مما يشكل تهديداً حقيقيّاً لقلب مملكته في القدس بسبب القرب الجغرافيّ منها، ومع كل هذا فإنّ الفرنّجة لم يتمكّنوا بادئ الأمر من فرض السّيطرة الحقيقيّة على الطّريق التّجاريّ القادم من شبه الجزيرة العربية باتّجاه بلاد الشّام في المناطق الشرقيّة للبحر الميت، كما أنّ هذه المناطق كانت أفضل الطّرق بالنّسبة للبدو الذين يرغبون في التّسلّل إلى غزّة، أو الحاميات الفاطميّة في غزة وعسقلان(٨٣).

وحتى مع سيطرة الملك بالدوين الأول على المنطقة إلّا أنّ التصور الجغرافيّ ما زال مشوّشاً لدى الفرنّجة، حيث كانوا يظنّون أنّ المناطق التي تقع بعد البحر الميّت هي من الجزيرة العربيّة، وهذا ما يذكره الشارتري سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م، حينما قال "ذهب الملك بالدوين إلى جزيرة العرب وشيّد هناك قلعة على جبل صغير قرّر أن يسمّيها مونتريال"(٨٤). ومن هنا توسّع الفرنّجة وصولاً إلى أطراف شمال الجزيرة العربيّة عند ملتقى آيلة، وظلّت المنطقة تعيش هدوءاً نسبيّا، فمن خلال الملاحظة كانت جميع الأطراف تتحاشى الالتحام في هذه المنطقة بالذّات لأنّها معبر لقوافل التجارة ، ومن غير المجدي للجميع الدّخول في هكذا مناوشات قد تفسد المصالح التّجاريّة

المشتركة، لذلك لعبت الصّحارى حاجز أمان طبيعيّ بين الفرنجة والمسلمين في فترات زمنية طويلة[٨٥].

وبقيت المستنقعات الطّينية الواقعة شرقيّ نهر الجليل من بحيرة طبريّا وصولاً إلى الحولة مناطق اشتباك دائم بين الأيّوبيّين والفرنجة في عهد الملك بالدوين الرّابع (Baldwin IV of Jerusalem) (٥٦٩-٥٨١هـ/١١٧٤-١١٨٥م) حيث كان سكّان هذه المنطقة الأصليّين من الفلاحين والبدو الذين لم يكن ولائهم واضحاً، فالبعض فضّل الفرنجة والبعض فضّل أمراء دمشق ، وكانوا يستفيدون من ذلك الحياد في سهولة تنقّلهم في المناطق المتنازع عليها، حيث لم يكن يفصل بين حدود مملكة بيت المقدس وحدود دمشق سوى شجرة بلوط، ولم تكن هذه المنطقة محصّنة لأيّ من الطّرفين بسبب المعاهدات التي تقضي بعدم بناء حصن أو قلعة فرنجيّة في هذا المكان[٨٦]، وبقي سكّان هذه المنطقة يتّصفون بالحياد طوال فترة الصّراع.

فيما ظلت مناطق الشّرق المفتوحة أقل خطورة على مملكة بيت المقدس حتى استولى الأمير الفرنجيّ ارناط(Raynald of Chatillon)[٨٧] على قلعة الكرك، وهنا كانت المفاجأة، وهي أن تمارس هذه المنطقة نقطة تحوّل كبير في الصّراع الفرنجيّ / الأيّوبيّ، ترتب عليه لاحقاً انهيار مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين فبالرّغم من حرب الفرنجة على جبهات مليئة بالزّخم السّكانيّ والحضاريّ وأسباب الرّفاه الاقتصادي، لم يخطر ببال أحد أن سلسلة الممارسات العدوانيّة التي كان يقوم بها ارناط على قوافل الحج والتجارة الإسلاميّة، ساعدت صلاح الدين الأيوبيّ (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م)، ليبدأ مشروعه بتحرير القدس وتدمير مملكة بيت المقدس.

مع توسع ارناط في الصحراء أصبحت أغلب أراضي شرق الأردنّ واقعة ضمن حدود مملكة بيت المقدس، والتي تسير مع منحنى نهر اللّيطانيّ وصولاً إلى روافد نهر الأردن ثمّ إلى جبل الشّيخ "حرمون" ويعتبر جبل الشّيخ هو الحدّ الرّسميّ الفاصل بين مملكة بيت المقدس ودمشق، ومن ثم تستمرّ حدود المملكة بالنزول جنوباً بمحاذاة بحيرة طبريا ثمّ نهر الأردنّ وشرقاً إلى بصرى الشّام و صلخد[٨٨]، وصولاً إلى عجلون فوادي الزّرقاء ثم بالسّير بمحاذاة البحر الميّت حتى الكرك ثمّ الشّوبك، فآيلة في الجنوب[٨٩].

ومن جملة ما يتوفّر من معلومات عن التّوغّل الفرنجيّ في الصّحراء ما ذكره ابن جبير في رحلته أنّ الفرنجة أثناء حصار صلاح الدّين للكرك سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م توغّلوا في الصّحراء لكي يقطعوا عنه المدد لكن صلاح الدّين استغل توغّلهم شرقاً، لكي يغافلهم ويلتف على مدينة نابلس غرباً[٩٠]، وفعلاً استطاع صلاح الدّين اجتياح المدينة التي كان الطّريق ممهداً لها.

ويعطي المؤرّخ أسامة بن منقذ وصفاً لوادي موسى بأنّه وعر فيقول: "في وادي موسى، وطلعنا في طرقات ضيّقة وعرة إلى أرض فسيحة"[٩١] ، فكان هذا الوادي حجر عثرة في وجه أيّ جيش يقرّر العبور من خلاله، لذلك من الواضح أنّ جميع الأطراف كانت تتحاشى التوغّل فيه أو المرور من خلاله، وبذلك يتبين أنّ منطقة شرق الأردنّ كانت ذات أهميّة كبيرة لدى القوى المتصارعة في المنطقة طوال فترة التواجد الفرنّجي في مملكة بيت المقدس اللاتينية.

ثانياً: الأوضاع السياسيّة والإداريّة لشرق الأردنّ في عهد مملكة بيت المقدس اللاتينيّة

منذ تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية، سعى الملك جودفري (Godfrey of Bouillon) (٤٩٢-٤٩٣هـ/١٠٩٩-١١٠٠م)، للسيطرة على جميع الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن والتي كانت تنقسم إلى محورين: المحور الشمالي الممتد على أراضي سواد الأردنّ، وهنا بدأ نشاط الفرنجة بالتوسع على حساب الأراضي الواقعة في السواد وهي مناطق لم تكن تخضع للسيطرة السلجوقية ولا الفرنجية فكان سكانها مزيجاً من عناصر مسلمة ومسيحية امتهنوا الزراعة، وكان هدف الملك جودفري من السيطرة على هذه المنطقة هو السيطرة على الحركة التجارية المارة باتجاه الجولان من البحر الأبيض المتوسط، والمحور الثاني وهو الجنوبي الممتد من نهر الزرقاء[٩٢] حتى آيلة في الجنوب ، وكان له عدة أهداف من السيطرة عليه : أولها عسكري بهدف التخلص من أي تهديد سلجوقي أو من قبائل المنطقة خاصة وأن التحصين فيها كان ضعيفاً، فكان الاستيلاء عليها أسهل من المدن الساحلية التي تحتاج لمعونة الأساطيل الإيطالية، كذلك كانت التجمعات السكانية فيها قليلة إذ لم تشكل عائقاً أمام التوسع الفرنجي، فبدأ بوضع فرق استكشافية لمعرفة المنطقة، خاصة وأنّ ذلك تزامن مع بدايات قدوم الفرنجة لجنوب بلاد الشام، كما أنه رأى أنّ هذه المنطقة مصدر مهم للزراعة ولتربية الماشية فهي منطقة تجمعات للفلاحين والقبائل البدوية[٩٣].

ويمكن القول بأنّ الوضع الأمنيّ كان يفتقر للاستقرار في بدايات تأسيس مملكة بيت المقدس؛ بسبب عدم وجود الأمان بين المناطق الجبليّة والطّرق المؤدّية إلى المنافذ السّاحليّة كطريق بيت المقدس – اللّد – الرّملة – يافا، والذي كان يتعرّض لغارات دائمة من اللّاجئين المهجّرين في الجبال أو البدو المتسلّلين من الصّحراء[٩٤]. وفي نفس السنة أي ٤٩٣هـ/١١٠٠م، زادت الغارات على المنحدرات الجبليّة في منطقة الكرمل وهي منطقة استراتيجيّة واصلة بين القدس ويافا[٩٥]، وهذا ما شكّل تهديداً حقيقياً للحركة من وإلى السّاحل حيث إنّ هذه التّضاريس الوعرة كانت تساعد في عمليات الكرّ والفرّ أو ما يصطلح عليه اليوم بحرب العصابات، فلو نظرنا إلى تحالف المسلمين الأوّل ضدّ الفرنجة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م نجد أن الفاطميّين في الجنوب تحالفوا مع السلاجقة في الشّمال لمجابهة الخطر الفرنجيّ، وبتتبع المسير نرى أنّ

الفاطميّين فضّلوا استخدام السّواحل الجنوبيّة لمحاربة الفرنجة عبر إرسال أسطول بحريّ إلى ميناء يافا، بينما فضّل سلاجقة دمشق السّير مع الأودية وصولاً إلى بيت المقدس حيث توجّهوا من دمشق فهبطوا وادي الأردنّ فالنقب، وهنا تظهر مراوغة الملك بالدوين الأول مجدداً في محاولة نقل أرض المعركة إلى الرّملة، فحسب وجهة نظره أنّها أفضل، وبالفعل استطاع أن ينتصر على الحشد الإسلاميّ عن طريق مشاركة جميع الجيوش الفرنجيّة في المعركة، وفي السنة التّالية كانت الجليل هي الوجهة الجديدة لجيوش الملك بالدوين الأول، وهي منطقة صخريّة ولكن في ذات الوقت غنيّة بينابيع الماء وقريبة من بحيرة طبريا الاستراتيجية[٩٦].

ويلاحظ كذلك أن المصالح الاقتصادية بدأت توحد مواقف الأطراف المتنازعة؛ ففي سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م عقدت هدنة بين مملكة بيت المقدس و دمشق تتلخّص في أنّ العوائد الزّراعية لمنطقة سواد الأردن وجبال عوف في عجلون تقسم إلى ثلاثة أقسام بالتّساوي بين دمشق والقدس والسّكّان المحليّين، وكان الهدف من ذلك أنّ بلاد السّواد هي منطقة حدوديّة بين القوى المتنازعة، وحكمها ذاتيّ وغنية بالزّراعة فهي توفر الموارد الغذائيّة للسكان والجنود، إضافة إلى توفير الأعلاف للخيل والدّواب التي تستخدم في القتال الدّائم، وكان لا بدّ من الحد من الغارات التي كانت تشنّها قوات السلاجقة على الجليل ووادي الأردنّ، لذلك كان من الأصلح للطّرفين القبول بالمعاهدة على مضض بسبب حاجتهم لعوائد هذه المنطقة الغنيّة والحدوديّة بين ثلاث قوى , وهنا نلاحظ أن ثروات المنطقة أدّت لتقارب في المصالح، وكان سيكون العكس لو كانت هذه المنطقة قاحلة أو وعرة ، فأن الصّلح لم يكن وارداً ولاستمرّ العداء بين الطّرفين، ولكن هذه الهدنة لم تمنع استمرار الصّراع بشكل دائري مغلق فهنا توجه الأمير طغتكين السلجوقي[٩٧] (٤٩٧-٥٢٢هـ/١١٠٤-١١٢٨م) حاكم دمشق، من دمشق لمساعدة السّاحل بعد حصار بيروت ، فيما التف الملك بالدوين الأول لمحاولة انتزاع بعلبك كمزرعة له ولكنّه فشل[٩٨].

وبادر الملك بالدوين الأول إلى الطلب من طغتكين عقد معاهدة في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، كرّر فيها المطالب السّابقة، وتضمنت المعاهدة تقسيم أرض السّواد، وجبل عوف وهي جزء من عجلون إلى ثلاثة أقسام فيكون للسّلاجقة حصة وللفرنجة حصة وللفلاحين المحليين حصة، وهو ما تم الاتفاق عليه بالفعل[٩٩]، واستمر هذا الاتفاق حتى عهد نور الدّين زنكي (٥٤٠-٥٦٩هـ/١١٤٦- ١١٧٤م) وكان للجبال دورها كملاذ حربيّ في حالات المناوشات الحربيّة، ففي سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م عندما فرض الفرنجة حصارهم على مدينة بيروت أرسل الفاطميين قوة برّيّة راجلة عبر أراضي الأردنّ قدرت بثلاثمائة محارب، ولكنّ الفرنجة قطعوا الطريق على هذه القوة فما كان من منها إلا أن لاذت بالفرار واحتمت بالجبال المجاورة من بطش الفرنجة[١٠٠].

وقبل وفاة الملك بالدوين الأول سنة ٥١١هـ/١١١٨م، كان قد حقق انتصارات كبيرة، فكانت حدود مملكته تصل إلى جميع سواحل بلاد الشّام عدا صور وعسقلان، ومن بيروت شمالاً إلى بئر السّبع جنوباً وصولاً إلى المداخل الشماليّة للجزيرة العربية مروراً ببادية شرق الأردن[١٠١] ومع نهاية حقبة الملك بالدوين الأول الذي يعتبر من أكثر ملوك الفرنجة تأثيراً في الشّرق؛ يتضح أنّ حقبته شهدت مجموعة من الملامح العامة، إذ نجد أنّ الملك بالدوين الأول كان عنده رؤيا واضحة تتمثل بضرورة احتلال منطقة جغرافية محاطة بثلاث أعداء: عدو دائم لم تجمع بينهم إلّا معاهدة تقسيم أراضي سواد الأردن سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م وهم السّلاجقة، ومنطقة كانت مصدر استنزاف وقلق أكثر من كونها منطقة نزاع وهي الصّحاري الشّرقية التي كانت تقع تحت الحكم الذاتي للقبائل المنتشرة شرق حوض نهر الأردنّ. وكان أكثر هذه الجبهات خطورة بالنسبة لمستقبل المملكة النّاشئة هي الجبهة البريّة الجنوبيّة والغربيّة البحريّة فقد دخل الملك بالدوين الأول في صدام دائم شبه سنويّ مع أعدائه الفاطميّين.

وإما في عهد خلفه الملك بالدوين الثاني (Baldwin II of Jerusalem) (٥١١-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م)، سنحت الفرصة للفاطميّين الوصول إلى حدود مدينة القدس بعد غياب الملك في الأسر والذي لم يعد إلى عرشه في بيت المقدس إلا في نهاية سنة ٥١٧هـ/١١٢٤م بعد أن تم دفع فدية مقدارها ثمانين ألف دينار، حيث كان يرزح في الأسر في قلعة شيزر في حماة[١٠٢]، وبعد أن عاد من الأسر قام بالانتقال من فوره من عكا إلى أعالي نهر الأردن ثم تجوّل في كامل أراضي نهر الأردنّ من الشوبك إلى جبل السلط ثم عاد إلى طبريّا بعد أنّ أغار على قطعان الماشية المتواجدة هناك وساقها إلى القدس[١٠٣]، ويمكن قراءة هذه الجولة الموسّعة على مسارين: إمّا أن يكون هدفه استعراضياً من باب الحرب النفسيّة تجاه أعداءه، فكأنه يقول: أنّه ما زال بخير وقادر على شن هجمات توسّعيّة أخرى بعد سقوط صور في يد حلفاءه وهو في سجنه، أو أنه كان يرغب في أن يرى بنفسه ما آلت إليه شؤون مملكته على الأرض، خاصة أنّه لا يمكن إنكار وجود نزاع داخليّ بين الفرنجة أنفسهم عندما بدأوا يختارون الوصيّ لإدارة شؤون البلاد في غياب الملك الأسير، إضافة للتوتّر البحريّ الذي حصل بين بحّارة البندقيّة و بيزنطة بعد السّيطرة على صور، ولكن في كلا الحالتين كان لا بد للملك بالدوين الثّاني من الإقدام على مثل هذه الجولة الموسّعة، لكي يضع تصوراً واضحاً لأهدافه العسكريّة المستقبليّة

وبقيت الحالة السياسية هادئة في المنطقة الشرقية،حتى برز شكل من أشكال الصّراع بين طبقة النّبلاء والملك، والذي حدث في عهد الملك فولك من تمرد من قبل سيد يافا من أسرة بويزيه وسيّد الأردن من أسرة بوييه، فبعد أنّ تولّى الملك فولك الحكم سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م رفض هيو دي بويزيه (Hug of Le Puiset) إعلان الولاء للملك لأن الأمير بويزيه ابن عم الملكة

ميليسندا (Melisende, Queen of Jerusalem) وكان يطمع بالزّواج منها، الأمر الذي أدّى إلى قيام ثورة، وانقسم الإقطاعيون بين موالٍ ومعارضٍ، فتآمر معه الأمير رومانوس دي لي بوييه (Roman of Le Puy) حاكم إقطاعية الأردن فاتّهموا بالخيانة، وقرّر الملك على إثر ذلك نفي بويزيه وانتزاع كل إقطاعاته منه، الأمر الذي ترك منطقة السّاحل منطقة اضطرابات مستمرّة لعشرين سنة تلت الحادثة[١٠٤]، بينما أُنتزع إقطاع الأردنّ من الأمير بوييه ومنح للملك فولك الذي قام بدوره بمنحه للأمير باجان (paganus)[١٠٥]، وبعدها قام الملك فولك بإعادة توزيع الإقطاعات على النّبلاء مما زاد من مكانتهم الاجتماعيّة، فبالإضافة إلى الأمير باجان الذي أصبح سيّد شرق الأردنّ، قام بمنح الأمير باليان (Balian of Ibelin)، مقاطعة ايبلين نسبة إلى أسرة ايبلين النّبيلة التي أقامت في قلعة سميت باسمها، بالقرب من القدس وأعطى رينيه بروس (bruse Rene) بانياس، وفي هذه الاثناء أصبحت إقطاعيّة ما وراء نهر الأردن "الكرك" واحدة من الإقطاعيّات الرّئيسيّة التي تقطع للنّبلاء الأكثر جدارة، بالإضافة إلى إقطاعيّة يافا التي كانت تقطع على الدّوام لأكثر النّبلاء جدارة بها، وإقطاعيّة الجليل، وإقطاعيّة صيدا، وهذه الإقطاعيّات كانت ثابتة التّداول بين كبار النّبلاء[١٠٦]، إلا أنّه جرى تعديل إداري بعد استحداث إقطاعية في الكرك في عهد الملك فولك، وبذلك توسعت الحدود الإدارية للمملكة حتى شملت على جميع الأراضي الواصلة من البحر الميت حتى آيلة وهي الكرك والشوبك و وادي موسى و وادي عربة[١٠٧].

وفي عهد خلفه الملك بالدوين الثالث (Baldwin III of Jerusalem) (٥٣٧-٥٨٥هـ/١١٤٣-١١٦٣م) تغيّرت الحدود الإداريّة بين مملكة بيت المقدس والدّولة الفاطميّة في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٣م بعد أن سقطت مدينة عسقلان آخر مدينة ساحليّة فاطميّة في بلاد الشام، فأصبحت الصّحارى الجنوبيّة هي الحدّ الفاصل بين مملكة بين المقدس ومصر الفاطميّة، وبعد سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م توسّعت مملكة بيت المقدس حتى أصبحت الصّحراء تحدّها من الجنوب وصولاً إلى العريش في مصر ومنطقة البيرة، وهي منطقة صحراويّة تفصل بلاد الشّام عن الطّريق المؤدّي للحجاز، إضافة إلى الصّحاري الشّرقيّة الممتدّة شرق نهر الأردن، وهي طرق للحج الشّاميّ والتّجارة أيضاً نحو الحجاز ومصر[١٠٨]، في حين كانت حدود مملكة الفرنجة في أقصى الشّمال الشّرقي تصل إلى بصرى الشّام وصلخد[١٠٩].

وفي عهد نور الدين زنكي، بقيت المعاهدة التي أبرمت بين الملك بالدوين الأول وطغتكين السلجوقي حاكم دمشق والتي تم مناقشتها سابقاً سارية المفعول، فبعد أنّ أحكم نور الدين زنكي سيطرته على دمشق أبقى على تلك المعاهدة والتي تقضي بتقسيم غلال شرقي نهر الأردنّ إلى

ثلاث اجزاء ثلث لحاكم دمشق الذي اصبح نور الدين زنكي وثلث للفرنجة وثلث للفلاحين واستمرت في عهد الأيوبيين إلى ما بعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١١٠].

وتم عقد معاهدة بين الملك بالدوين الثالث و نور الدين زنكي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م مدتها عامين تضمن عدم اعتداء أي منهما على الأخر، وبعد انتهاء مدة الهدنة سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، استأنف كلا الطّرفين نشاطهما الحربيّ، حيث كانت المناوشات قد توقّفت لفترة زمنيّة بسبب الهدنة بالرّغم من خرق الفرنجة لها، إضافة إلى مرض نور الدّين زنكي وسلسلة الزلازل التي ضربت المنطقة، لكن نور الدّين عاد ليفرض حصار على حصن حبيس جلدك[١١١] ردّاً على الحملة التي قادها ارناط باتجاه دمشق. ولكن الجغرافيا ساعدت الفرنجة في فكّ الحصار عن حصن حبيس جلدك الذي شيّد على حوض وادي نهر اليرموك، فاستغلّ الفرنجة تواجد جيوش نور الدّين حول الحصن ليلتف الفرنجة في الجهة الأخرى لبحيرة طبريا عكس عقارب السّاعة، الأمر الذي جعل الجيوش الفرنجية تصبح حاجزاً بينه وبين دمشق مما اضطره لينسحب، ومع ذلك لحق به الفرنجة وتقابل الجيشان في الحوض الشّرقيّ لنهر الأردنّ وانتهت المعركة بانتصار الفرنجة[١١٢].

وفي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م استؤنفت العلاقات الدّبلوماسيّة والتّجاريّة بين دمشق والقاهرة بعد تولّي صلاح الدّين وزارة الدّولة الفاطميّة في مصر، حيث سيرت قافلة تجارية وكان رئيس القافلة القادمة من دمشق نجم الدّين أيّوب والد صلاح الدّين، ولكنّ كانت هذه القافلة بمرمى نظر الفرنجة، حيث مرّت القافلة من الكرك وهو الطّريق التّجاريّ المعهود، ولكي يضمن نور الدّين زنكي عدم تعدّي أمير الكرك عليها، أمر القافلة بالمرور كاستعراض عسكريّ الأمر الذي جعل القافلة تمر دون مضايقات تذكر، وفي نفس السّنة تعرّضت بلاد الشّام قاطبة لزلزال كبير ألحق الضّرر بالحصون العسكريّة من الكرك في الجنوب، وصولاًحتى مدينة أنطاكية في الشمال[١١٣].

وفي خضم هذه الأحداث تفاقم المرض على الملك بالدوين الرّابع إذ أنّه لم يعد قادراً على الحكم فتنازل عن الحكم لزوج شقيقته جي لوزنيان (Guy of Lusignan) (٥٨١-٥٨٣هـ/١١٨٥-١١٨٧م)، إلا أنّ الملك بالدوين الرّابع بقي محافظاً على حكم القدس وجوارها كونها العاصمة، في هذه الأثناء كان صلاح الدّين منشغلاً على جبهة الشّمال في حلب، مما شجّع ارناط إلى تأسيس أسطول صغير في البحر الأحمر يهاجم من خلاله السفن الإسلاميّة بين مصر والحجاز سواء كانوا حجاجاً أو تجاراً، وكان هذا الأسطول قد تمّ بناءه من أشجار منطقة مؤاب بالقرب من الكرك، فكان يجرّب السّفن في البحر الميت قبل أن يتم نقلها إلى آيلة ولم ينته من نقل أسطوله إلاّ في نهاية سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٢م.

وبالرغم من المعاهدات التي جمعت بين صلاح الدين ومجموعة من ملوك الفرنجة إلا أنّ ارناط لم يكف عن مهاجمة القوافل التجارية، الأمر الذي اضطر صلاح الدين لتنظيم حملة لحصار الكرك،في هذه الأثناء كان ارناط مشغولاً بزواج ابن زوجته الأمير هيمفري (Humphrey) في حصن الكرك وخلال الإعداد لحفل الزّفاف وصل نبأ زحف صلاح الدّين إلى قلعة الكرك لمحاصرتها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م[١١٤] ، ففرّ جميع السّكّان من الجوار وتحصّنوا داخلها في هذا الوقت قرّر صلاح الدّين شقّ طريق للوصول إلى القلعة وخلال مراسم الزّفاف في داخل القلعة كانت أصوات المنجنيق وهي تدكّ الأسوار في الخارج تصل إلى مسامع الجميع، وكنوع من ضبط النّفس قام الفرنجة بأمر من الأميرة ستيفاني (Stephanie of Milly) والدة هيمفري بأعداد الطّعام وإرساله لجيش صلاح الدّين فيما أمر صلاح الدّين بتفادي البرج الذي سيقيم فيه العروسان، وأكمل قصف باقي اجزاء القلعة وفي هذا الوقت قام الملك بالدوين الرّابع بإرسال الجيش الملكيّ بقيادة ريموند الثالث (Raymond III) (٥٤٧-٥٨٣هـ/١١٥٢-١١٨٧م) أمير طرابلس فمرّ الجيش من طريق مختصر حيث عبروا من أريحا إلى جبل نيبو نزولاً إلى الكرك من الشّمال، لذا فضّل صلاح الدّين الانسحاب عن الكرك، ويذكر أنّ حصن الكرك من أكثر حصون الفرنجة حصانة فهو مهم لهم كموقع مطلّ على الصّحراء وقريب من القدس في نفس الوقت ، إذ أنّه يبعد مسيرة يوم فقط أو أقل وحوله أربعمئة قرية[١١٥]، وهذا ما يفسّر صمود الحصن لفترات طويلة فهذه القرى بطبيعة الحال هي التي توفر التموين والأيدي العاملة ، ودعم صمود المقيمين في الحصن[١١٦]، وفي السنة التّالية أعاد صلاح الدّين الكرة لغزو الكرك بسبب اعتداء ارناط على قافلة للحجاج المسلمين[١١٧] وبالرّغم من أن صلاح الدين كان يعرف جغرافيّة الكرك جيداً، إلاّ أن تضاريسها منعته مرة أخرى من السّيطرة عليها فقرّر التّوجه إلى القدس فيما أغار جزء من الجيش على المناطق الواصلة بين الجليل إلى جنوب نابلس وستولوا على غنائم جيدة[١١٨]، وبذلك كانت جغرافية شرق الأردنّ عاملاً مهماً في تطور الأحداث التاريخية منذ بدء توسع الفرنجة نحو الشرق حتى انهيار مملكتهم .

ثالثاً: الأوضاع العسكريّة لشرق الأردنّ في عهد مملكة بيت المقدس اللاتينيّة

منذ بداية الوجود الفرنجي في جنوب بلاد الشام كان التحرك العسكري في منطقة شرق الأردنّ مستمراً إذ شهدت المنطقة تحركات عسكرية ذات طابع توسعي في عهد الملك جودفري والملك بالدوين الأول، وفي الوقت ذاته كان بنو عمّار[١١٩]، يحاولون قطع المدد عن الفرنجة من

السّواد التّابع لجند الأردن شرق طبريّا[١٢٠] لمنع مثل هذه التحركات، في الوقت الذي كان سلاجقة دمشق يرسلون جيوشهم إلى أعالي نهر الأردنّ للحد من توسع الفرنّجة[١٢١].

وفي سنة ٥٠٦هـ/١١١٣م حاول السّلاجقة مهاجمة أطراف بيت المقدس حيث اندفعت جيوشهم من دمشق إلى الحدود الشماليّة لمملكة بيت المقدس عبر السّهول الواصلة بين صور وقيساريّة، ومن خلال الاستدارة حول بحيرة طبريّا ليجدوا أنّهم محاصرين بين منابع نهر الأردن، كذلك كانت الجسور الواصلة بين تفرّعات النّهر ضيّقة يصعب المرور بها ولكن ظهرت براعة القائد مودود السلجوقي[١٢٢] حين استطاع أن ينصب للفرنجة كميناً على أحد جسور نهر الأردن مما أدّى إلى تراجع معسكر الفرنجة إلى المرتفعات خلف الجسر، بينما احتلّ السّلاجقة السّهول وساعدت حرارة الشّمس العالية على الانهاك السّريع للفرنجة، فهاجم السّلاجقة سهول نابلس وحصلوا منها على غنائم كثيرة، ودمّروا ما تبقّى من المزروعات قبل انسحابهم، وفي الوقت نفسه تعرّضت المملكة الفرنجيّة للهجوم من قبل البدو في عسقلان حيث وصلوا إلى أسوار القدس وأحرقوا المحاصيل الزراعيّة التي جمعت خارج أسوار المدينة وسرعان ما عادوا بغنائمهم إلى عسقلان[١٢٣] وفي نفس السنة تركت أعالي نهر الأردن والجسور المحصورة بين منبع النّهر وبحيرة طبريّا أثرها في التحام كاد أن يقضي على جيش الملك بالدوين الأول ، بعد أن استدرجه طغتكين حاكم دمشق إلى تلك المنطقة، فتركه يواجه الطّبيعة الصّعبة ، ولكن ما أنقذ الملك بالدوين الأول من هذا المأزق هو لحاق عدد من حلفاءه به وهما الأميران روجر (Roger of Salerno) أمير أنطاكية، وبونز (bones prince of Tripoli) أمير طرابلس ويذكر أن هذه المنطقة لم يستطع المسلمين الوصول إليها منذ حلول الفرنجة بها إلاّ في تلك السنة ٥٠٦هـ/١١١٣م[١٢٤]، وهو تطوّر إيجابيّ على الرّغم من ضعف دمشق في تلك الفترة نتيجة كثرة الاضطرابات الدّاخلية، ولكن من المحمود الإشارة لاستطاعتهم التوغّل في الخاصرة الشّماليّة الشّرقيّة لحدود مملكة بيت المقدس.

ومع الانتقال لحقبة الملك بالدوين الثاني، تجدّدت الاشتباكات سنة ٥١١هـ/ ١١١٨م بين القوتين ، وهنا أعاد السّلاجقة توجيه جيوشهم لضفاف نهر الأردنّ، وفي الوقت نفسه حشد الفاطميون جيوشهم من عسقلان وعادت هذه الاشتباكات لتتجدد في نفس المكان في أعالي نهر الأردن سنة ٥١٤هـ/١١٢١م، حيث حشد الملك بالدوين الثاني القوى العسكريّة من كل مكان داخل أراضي مملكته، ولكن سرعان ما عاد الملك ليتحصّن في بلدة جرش القريبة من جبل جلعاد ، وهي بلدة إستراتيجية تقع بين جبل جلعاد في الغرب ودمشق في الشمال ، وبسبب ضراوة الجيش السّلجوقيّ، وجد الملك أنّه من الصّعب الإقامة في جرش بسبب صعوبة تضاريسها وصعوبة إمداد المؤن إليهم من القدس، ففضّل الانسحاب والعودة إلى القدس[١٢٥]، ومن

المستغرب هنا ذكر دخول الملك بالدوين الثاني لجرش, فجرش في تلك الأثناء كانت من مناطق الحكم الذاتيّ للقبائل العربيّة، إذ إنه لم يكن التّواجد فيها آمناً، ولكن ربما يعطي ذلك إشارة إلى حرج الموقف الذي مرّ به الملك بالدوين الثّاني ، فلم يجد له ملاذاً أفضل منها ليقيم فيها فاتّخذ من نقص المؤن ذريعة للمغادرة سريعاً.

وفي الرّبع الثّاني من تاريخ مملكة بيت المقدس كان الأمان هو السّمة العامّة لمدن الداخل، لأن المناوشات انحصرت تقريباً على الأطراف، وتبرز بين هذه الجبال مناطق سهليّة وسيطة شكلت محور التوسّع أكثر في الشّمال الواصل بين الجبال على ضفتيّ النّهر وتعتبر هذه السّهول معبراً عسكرياً، ولعل أبرزها نابلس والتي كانت تفصل بين وادي الأردنّ من الشّرق وبيت المقدس مركز مملكة بيت المقدس غرباً وكان يسهل الدّخول إليها عبر مياه نهر الأردنّ في المنطقة الواصلة بين أريحا وبيسان، ومن الشّمال كانت تحدّها الجليل ذات المرتفعات الجبليّة وسهل بني عامر إضافة إلى الحدود الجنوبيّة لبحيرة طبريّا، وهي قريبة من السّاحل حيث يسهل اختراقها من عكا[١٢٦]. فكانت هذه المنطقة بالذّات أفضل مناطق مملكة الفرنجة ، وفكانت تقوم بإمداد الجنود المحاربين بما يحتاجونه من المؤن الغذائيّة .

وفي سنة ٥١٢هـ/١١١٩م أي بعد سنة من تولّي الملك بالدوين الثّاني حكم مملكة بيت المقدس قرّر طغتكين مهاجمة المناطق الدّاخليّة لشرق وادي الأردن وضمّها إلى حكم دمشق، حيث إنه وجد دعماً كبيراً من الفاطميّين الذين دعوه لقيادة قواتهم، وفي الوقت نفسه كان لا بد للملك بالدوين الثّاني من الاستنجاد بقوات من طرابلس وأنطاكية، ولكنّ الحملة فشلت بعد ثلاث أشهر من الكرّ والفرّ، فعاد كل من الجيشين لمعقله[١٢٧] ، وبالرغم من فشل الحملة إلا أن هذه المناورة كانت مهمّة بالنّسبة للملك بالدوين الثّاني إذ جاءت لإثبات قوته في المنطقة حيث إنّ أعداءه وجدوا من موت الملك بالدوين الأول فرصة مناسبة لتضييق الحصار على مملكة بيت المقدس ظناً منهم أنّ خلف الملك بالدوين الأول ليس بقوته، ولم تتجدّد الاشتباكات بعد ذلك حتى بداية العقد الثّالث من الاحتلال الفرنجيّ، وهنا بدأ التّفكير بتحصين المنطقة الشّرقيّة أكثر على أن تصبح الصّحراء حداً طبيعياً لمملكة بيت المقدس، لأنّ درجات حرارتها مرتفعة، وخالية من أيّ مسطّحات مائيّة خصوصاً الأنهار وهذا ما يمنع أيّ قوة من الإقامة فيها لفترات طويلة ، وبدأ التنفيذ من خلال بناء المزيد من التّحصينات الحربيّة فقام الفرنجة بسدّ الفجوة الشّرقيّة حتى لا تكون مصدر هجوم مفاجئ على أراضيهم غربي النّهر فابتكروا شكل جديد في بناء القلاع الحربيّة والحصون التي تشيد بطبيعة الحال على مرتفعات جبلية ذات طبيعة وعرة ومحصنة وتبرز أهمية هذه المواقع في كونها تعطي مدى بصري واسع ولعل أبرز هذه التحصينات الحربية قلعة الشوبك وقلعة الكرك التي كانت محصنة بشكل كبير، وتفي بالغرض الدفاعيّ لها، لكن كان

لها أهداف أخرى مع تحسّن العلاقات التّجاريّة بين الفرنجة والمسلمين، حيث وفّرت هذه الحاميات العسكريّة حماية للحجاج والتّجّار المسلمين عن طريق تقديم الحماية مقابل أجر مالي[١٢٨] مشابه للنّظام الجمركيّ في الوقت الحاليّ.

وبعد تعاظم قوّة عماد الدّين زنكي (٥١٦-٥٤١هـ/١١٢٢-١١٤٦م) في بلاد الشام بدأ الملك فولك ينظر إلى مناطق شرق وادي الأردنّ أنّها مناطق تهديد حقيقيّ، فكان يجب فرض المزيد من الرقابة العسكريّة وأحكام الحدود جيّداً، وكان وجود قلعة المونتريال في الشّوبك صمّام أمان كونها طريق تجاري آمن في فترة الملك فولك بالرّغم من الصّراعات الملتهبة ولكنّ الوضع التّجاريّ كان يحكم بمعاهدات تحكمها المصالح المشتركة، وهذا لم يمنع الاختراقات المتتالية من البدو القادمين من الصّحراء وصولاً إلى جبال الخليل في الجنوب، والجدير بالذّكر أنّ الشّوبك وجوارها كانت في عهد الملك فولك إقطاعية للأمير باجان السّاقي، وهو أمير اقطاعيّة الشوبك في عهد الملك فولك إذ آل إليه حكم المنطقة بعد تمرد آل بوييه في شرق الأردن على الملك فولك، وهذا الرّجل يعتبر من أرفع المسؤولين في البلاط الملكيّ وكان يعرف بحسن الإدارة لذلك رأى الملك فولك أنّه من الأفضل منحها له لكي يبسط السّيطرة على هذه المنطقة الحيويّة التي لا يستطيع أيّ طرف من أطراف الصّراع الاستغناء عن مركزها التّجاري، ولكن مع انشغال الفرنجة الدّائم بالتهديد الذي شكله عماد الدّين زنكي، استطاع المسلمون التّسلّل إلى أراضي جنوب البحر الميّت، في حين كان الملك فولك في شمال البحر الميّت تحديداً في جبل جلعاد قرب بلدة السلط سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م، واستطاع المتسلّلون اختراق الوادي وصولاً إلى جبال يهوذا في الخليل، الأمر الذي اضطر الأمير باجان حاكم الشّوبك لنقل مقره من جبل الشّراة في الجنوب لجبل مؤاب في الشّمال للسّيطرة أكثر على التّسلل المستمر من أطراف البحر الميّت نحو العمق الفرنجيّ، وهنا قام الملك فولك باختيار موقع مميز جدّاً لبناء قلعة الكرك التي سبق الحديث عنها، و بالرّغم من التّحصينات الدّفاعيّة المتماسكة التي أقامها الملك فولك وأمراءه في الكرك، إلّا أنّها لم تمنع تسلّل البدو المستمرّ على جبال الخليل في الجنوب[١٢٩]، مما اضطرّ الفرنجة لإقامة إمارة في المناطق الدّاخليّة المحاذية لنهر الأردنّ من عمان في الشّمال إلى العقبة في الجنوب، على أنّ تكون الكرك هي المركز، وكان الهدف من إقامة هذه الإمارة منع أيّ تواصل بين مصر والشّام، لذلك عملوا على بناء تحصينات على طول الطّريق الواصل بين الشّام ومصر وهو طريق معروف بالأصل كطريق تجاري قديم.

في هذه الأثناء استطاع عماد الدّين زنكي الوصول إلى مدينة بعلبك وفرض حصاره عليها حيث كانت آنذاك تحت حكم السلاجقة، وأصبحت ضمن أملاكه بعد أن استطاع السّيطرة على قلعتها الحصينة، وفي الوقت الذي أصبح وجود عماد الدّين زنكي على حدود دمشق حتمياً، أبدى

الملك فولك خشيته من هذا التّوسّع المفاجئ للزّنكيين، فبدأ يفكّر في تحصين الحدود الشّرقيّة من مملكته، حيث قام بالإغارة على الجبال خلف نهر الأردن فأغار على جبل جلعاد في السّلط، ثم على جبال عجلون التي كان فيها حصن صغير قام بالاستيلاء عليه قبل العودة إلى خط ما وراء النّهر، وفي هذه الأثناء قدّمت دمشق عرضاً مغرياً للفرنجة وهو دفع مبلغ مالي يبلغ عشرين ألف دينار والتّنازل عن حصن بانياس، مقابل رد خطر عماد الدين زنكي عن دمشق، وبالفعل سار جيش الملك فولك باتّجاه الجليل لملاقاة جيش عماد الدّين، فكان المحور على الأرض كالاتي: سار جيش الملك فولك باتّجاه طبريّا، بينما التفّ جيش عماد الدّين زنكي في الجانب الآخر من البحيرة عكس عقارب السّاعة، لكنّ جغرافيّة المنطقة لم تكن مريحة من وجه نظر عماد الدّين، الذي رأى أنّه محاصر من جيش الفرنجة من الأمام، و من جيش سلاجقة دمشق من الخلف، ففضّل التّراجع تدريجيّاً إلى الخلف باتّجاه حلب كي لا يدخل في حرب خاسرة، وبذلك تمّ تسليم حصن بانياس من قبل السلاجقة إلى الفرنجة كما تم الاتفاق سابقاً[١٣٠].

ومن جهة أخرى كانت المناطق ذات الغطاء النباتي الكثيف تصلح للاختباء والمناورة، وتلافي الحواجز التي تعيق سرعة حركة الجيش في التنقل، كما تمارس أماكن الأوحال الطينية دوراً في تشتت تركيز الجيوش[١٣١] كأوحال مخاضات نهر الأردنّ الذي ينبع من جبال لبنان ويمتد صوب بحيرة طبرية ويمر عبر الأغوار وصولاً إلى البحر الميت جنوباً، على سبيل المثال : والذي شكل حداً طبيعياً فاصلاً بين الفرنجّة في الغرب وأعداءهم السلاجقة ثم الزنكيين ثم الأيوبيين لاحقاً في الشرق [١٣٢].

وبالرّغم من انشغال الزّنكيّين على جبهة الشّمال لم يغفل الملك فولك عن تحصين الجنوب، فقام ببناء قلعة في الكرك سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م تحسّباً لأيّ طارئ في مواجهة القوّة الإسلاميّة الجديدة، فالكرك هي نقطة توازن بين دمشق والقاهرة، وهي مكان تجمّع دائم للبدو الذين يهدّدون جنوب مملكة بيت المقدس باستمرار، هذه القوى التي استفاد منها صلاح الدّين فيما بعد لتجنيدهم في الجيش الأيوبي[١٣٣]، وهنا تم اختيار موقع القلعة بدقّة حيث أقيمت على جرف صخريّ ذو حواف حادّة مرتفع وحصين يصعب الوصول إليه أو اختراقه، كما أنّه يتميّز بالارتفاع، فهو يكشف مساحات واسعة من المناطق المحيطة سواء الإسلاميّة أو الفرنجيّة[١٣٤]، وجاء بناء قلعة الكرك كتتويج لسلسة تحصينات دفاعيّة أقامها الفرنجة في هذه المنطقة ليثبتوا سيطرتهم على هذا الطّريق ما أمكن ، وتأتي هذه التّحصينات من الجنوب إلى الشّمال كالآتي: قلعة آيلة في العقبة التي بناها الملك بالدوين الأول، ثم قام باجان أمير الشّوبك في عهد الملك فولك ببناء حامية في العقبة ثم حصن في وادي موسى، ثم قلعة الشّوبك " مونتريال " والتي بنيت في عهد الملك بالدوين الأول، وقلعة الكرك في عهد الملك فولك ولم يكن الهدف من بناء سلسة

هذه التّحصينات عسكرياً فقط بل كان اقتصاديّاً ،لأن هذه المناطق كانت غنيّة بحقول القمح والسّبخات الملحيّة ذات المردود الاقتصاديّ الجيد، إضافة إلى جني مبالغ المالية كرسوم مرور من التجار المارين في المنطقة من دمشق باتجاه مصر والجزيرة العربية، والتي كانت تفرض على هذه الطّرق التّجارية من قبل الفرنجة [١٣٥] وحصن الكرك يعود تاريخياً لعصور قديمة، ولكن بنيت القلعة بشكلها الحالي في عهد الملك فولك[١٣٦]، فيما يذكر ابن خلدون أن ارناط هو من قام ببناء قلعة الكرك[١٣٧] وهو ما جانب الصواب، وتعتبر الكرك معقل يصعب السّيطرة عليه في التّاريخ ويرجع ذلك إلى حصانة قلعتها المنيعة المعروفة باسم حصن الغراب، وبقيت تحت سيطرة الفرنجة إلى أنّ فتحها صلاح الدّين الأيوبيّ بعد معركة حطين، بعد أن قتل أميرها ارناط، واستطاع تحريرها هي وقلعة مونتريال في الشّوبك في نفس السنة[١٣٨]، بعد معاناة طويلة وحصار استمر لأكثر من سنة.

وبالعودة لتتبع مجريات الأحداث في جنوب بلاد الشام ، ففي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م قام التونتاش[١٣٩] – وهو قائد أرمنيّ من قادة معين الدين أنر السّلجوقيّ[١٤٠] (٥٣٤-٥٤٤هـ/١١٤٠-١١٤٩م) صاحب دمشق-، بالاستيلاء على بصرى وصلخد، وإعلان استقلاله عن إمارة دمشق، وطلب مساعدة الفرنّجة كونه أرمنيّاً مسيحيّاً، لكن الفرنّجة كانت تربطهم معاهدة مع أنر حاكم دمشق ومع ذلك حاولت الملكة ميلسيندا دعم مطالب التونتاش الأرمنيّ لأنّ ذلك سيسهّل على الفرنّجة ضمّ حوران إلى مملكة بيت المقدس فيما بعد خاصّة وأنّ أغلب سكّان منطقة حوران مسيحيّين أرثوذوكس، ويمكن ملاحظة ميل جميع الأطراف المتحاربة لانتزاع حوران من التونتاش لما تحتويه من ثروات زراعيّة وحيوانيّة تفتقر لها الأطراف المحيطة[١٤١].

وخلال هذا الصراع أرسلت جيوش الحملة الثانية الفرنجية لمهاجمة دمشق عبر أعالي نهر الأردن ثم الجولان سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، فما كان من معين الدين أنر إلّا طلب المساعدة من نور الدّين زنكي في حلب وبالفعل رحّب نور الدّين بذلك وأرسل مساعدته لأنر، وقام التّركمان التابعين لجيش أنر بشنّ عدّة غارات في وادي اليرموك باتجاه درعا ضايقت الجيش الفرنجيّ، ولكن مع وصول جيش نور الدّين زنكي بسرعة إلى بصرى وجيش معين الدين أنر إلى صلخد تم استسلام المدينتين بسرعة لأنر، ولمّا علم الفرنجة بذلك قرّروا الانسحاب لكنهم كانوا مرهقين لا يقوون على التراجع السريع ، ففي هذه الأثناء بدأت مؤنهم بالتّناقص، وآبار المياه قد ردمت، وبدأت الجيوش الإسلاميّة تلاحق فلولهم فتقتل من هو في المؤخّرة، واستطاعوا الوصول إلى سهل الرّحبة قرب عجلون بشقّ الأنفس، ومنه استطاع الجيش عبور نهر الأردن باتّجاه مملكة بيت المقدس ثانياً [١٤٢].

وبحركة مفاجأة قام التّركمان بعبور المناطق الصّحراويّة الشّرقيّة ثم المستنقعات المائيّة للحدود الشّرقيّة لمملكة بيت المقدس، وهاجموا القدس لكنّ هذا الهجوم كان غير مدروس، قابله الفرنجة بدفاع مضادّ أدّى إلى رجوع التّركمان إلى وادي الأردن، وقرب نهر الأردن حدثت مذبحة للتّركمان على يد الفرنجة، وبذلك استطاع الفرنجة إثر انتصارهم إخراج التّركمان خارج حدود المملكة، وبقي نور الدّين زنكي يمهد للسّيطرة على دمشق إلى أن استطاع السيطرة عليها سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، مستغلاً حالة نقص المؤن التي تعاني منها مدينة دمشق، فمنع عنها الغلال القادمة من شمال بلاد الشّام مما سهّل عليه إخضاع المدينة لسيطرته، وقام نور الدّين بعد أن استولى على مدينة دمشق بعدة إجراءات تضمن له ولاء سكّان المدينة؛ فقام بتزويد الأسواق بالحبوب والخضراوات، ومنع فرض الضّرائب على المواد الغذائيّة، وبذلك توسّعت الحدود الجغرافيّة لدولة الزّنكيين حتى وصلت لحدود نهر الأردنّ في الجنوب[١٤٣].

وبعد ذلك بعدة سنوات قام نورالدّين زنكي باستغلال غياب الملك عموري الأوّل (Amalric I of Jerusalem) (٥٥٨-٥٦٩هـ/١١٦٣-١١٧٤م) الذي ذهب غازياً لمصر كي يفرض حصاراً على الكرك، ولكنّ حصانة المكان، وسرعة وصول المدد من أمير طرابلس أفشل الحصار، وعاد نور الدّين إلى حمص، وفي سنتي٥٦٠هـ/١١٦٥م و٥٦١هـ/١١٦٦م أعاد نور الدّين زنكي وأسد الدّين شيركوه الإغارة عدّة مرّات على منطقة شرقيّ الأردنّ بهدف منع التوسع الفرنجيّ، وبذلك استطاع أسد الدّين الاستيلاء على حصن كان قد أسّسه فرسان الداوية (Knights Templar)[١٤٤] جنوب بلدة عمّان، ولكن سرعان ما توقفت مثل هذه الغارات بسبب انشغال أسد الدّين شيركوه بغزو مصر.

وفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م قام صلاح الدّين الأيّوبيّ بمهاجمة قلعة الشوبك، وما أن تهيّأ الملك عموري الأوّل لمهاجمة صلاح الدّين حتى توجّه نور الدّين للكرك فانسحب صلاح الدّين من الشّوبك بسبب الصراع في مصر، وفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٣م قام نور الدّين باستغلال غياب الملك عموري الأوّل في حروبه في إمارة أنطاكية فقرّر أن يغزو حوض نهر الأردن، وقدّم له صلاح الدّين المدد بأن فرض حصاراً على الكرك، لكن سرعان ما انسحب صلاح الدّين بسبب مرض والده نجم الدّين أيّوب و أكمل نور الدّين فرض الحصار على الكرك، التي تعتبر مركز الفرنجة في مناطق شرقيّ وادي الأردن لكنّ المدد القادم من الأمير هيمفري الثاني (Humphrey II of Tibnin) أجبر نور الدّين للانسحاب مرّة أخرى باتجاه دمشق[١٤٥].

وبعد أن فشل حصار الكرك سرعان ما توفّي نور الدّين زنكي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، وتوفّي الملك عموري الأوّل ملك الفرنجة فقرر صلاح الدّين التوجّه إلى دمشق ، وبالفعل عبر

سريعاً من شرق الأردن قبل أن يعترضه الفرنجة، ووصل إلى دمشق فارضاً سيطرته عليها[١٤٦]، وهنا بدأ نجم الأيّوبيين بالصّعود.

وكان الأمير ارناط في هذا الوقت يتمركز في قلعة جزيرة فرعون بالقرب من آيلة، فقام بإطلاق سفنه لمهاجمة المسلمين سواء في البحر أو على المدن السّاحليّة حتى إنّهم هاجموا ميناء عيذاب المقابل لمدينة مكّة المكرمة واستولوا على السّفن القادمة من الهند وعدن، فيما هاجمت القوى البرّيّة القوافل التي تعبر من صحراء سيناء متّجهة إلى نهر النّيل، ولكن سرعان ما انتقلت قوّة الفرنّجة البحريّة إلى الشّاطئ المقابل فهاجموا موانئ المدينة المنوّرة، وصولاً إلى ميناء الرّغيب التّابع لمكّة وأغرقوا الحجيج على متن سفينة متّجهة إلى مكّة، وفي هذه الأثناء نظّم الملك العادل شقيق صلاح الدّين الموجود في مصر آنذاك حملة بحريّة بقيادة حسام الدّين لؤلؤ قائد الأسطول الأيوبي، حيث قام برد الهجوم الفرنجيّ مما اضطرّ ارناط للانسحاب من آيلة قبل أن يستولي عليها حسام الدين، واستطاع الحدّ من العبث الفرنجيّ في البحر الأحمر حيث أعدم عدداً منهم في مكّة في موسم الحج فيما اقتاد البقيّة معه إلى القاهرة كأسرى، وفي هذه الأثناء عاد صلاح الدّين إلى دمشق للحدّ من همجيّة ارناط ، ففي خريف سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م نظّم جيوشه بغية التّوجه إلى أراضي مملكة بيت المقدس حيث عبر نهر الأردن جنوب بحيرة طبريّا، ثم دخل بيسان التي تحصّن أهلها بالحصون المجاورة، وفي هذا الوقت حشد الأمير جي زوج شقيقة الملك بالدوين الرابع جميع أمراء الفرنجة بما فيهم ريموند الثالث أمير طرابلس و ارناط و هيمفري وريث الأردن الذي وقع في كمين نصبه له صلاح الدّين قرب جبل جلبوع غرب بيسان، لكن منطقة الطّور التي تحصّن فيها الفرنجة كان من الصعب الوصول إليها بسبب مناعتها، حيث كانت التلّة التي بنيت عليها المدينة المحصّنة صعبة الاختراق، بالرّغم من أنّ صلاح الدّين عسكر على عين ماء التّبانية وهي عين ماء قريبة من بيسان إلا أنّه فشل في اختراق صفوف الأعداء، وفي نفس السنة عاد ليعسكر في صفوريّة وهو سهل متاخم لسهل حطين للهجوم على الفرنجة، حينها خيّم الجيش الفرنجيّ بالقرب من عين جالوت وهي عين ماء قريبة من سهل صفورية، وبالرّغم من ترقّب الطّرفين كل منهما للآخر لمدّة خمسة أيام بدأت المؤن تنفّد من جيش الفرنجة، ولكن استعاضوا عن ذلك بصيد السّمك الموجود بكثرة في عين جالوت وبقي صلاح الدّين يستفزّهم ولكن خشيتهم منه أبقتهم في حدود الدّفاع لذلك قرّر الانسحاب إلى ما وراء نهر الأردن مرة أخرى[١٤٧].

على الصّعيد الآخر كانت مملكة بيت المقدس تشهد مجموعة من الأحداث السّياسيّة كوفاة الطفل بالدوين الخامس (Baldwin V) ، ثم النّزاع الذي حصل لإعادة جي زوج سبيلا (Sabila Queen of Jerusalem) إلى الحكم، وفي السنة التّالية ٥٨٢هـ/١١٨٦م خرجت قافلة تجاريّة

من القاهرة باتّجاه الشّام وكانت هذه القافلة كبيرة ومعها حامية لتمنّع غارات البدو، ولكن ما أن اقتربت من الكرك حتى تعرّضت لهجوم من قبل ارناط الذي قام بقتل الحامية، واقتاد كل من في القافلة داخل أسوار قلعة الكرك ، وتعتبر هذه القافلة أكبر غنيمة في تاريخ ارناط الدّموي ومع ذلك احترم صلاح الدّين المعاهدة؛ فأرسل إلى ارناط يطالبه بإخلاء سبيل الأسرى وتعويض الخسائر لكنّه رفض فعاد وخاطب الملك جي الذي أمر ارناط بإعادة ما سلبه، لكن ارناط رفض الرّضوخ لطلب الملك جي، و بعد أن خرق ارناط الهدنة ورفض دفع تعويض عن الخسائر لصلاح الدّين شعر الفرنجة بضرورة إيجاد معاهدات جانبيّة مع الأيوبيين ، حيث تمّ تجديد معاهدة مع كل من أمير أنطاكية وأمير طرابلس، ولكن اعتبر الملك جي أن ما فعله ريموند الثالث أمير طرابلس خيانة وحاول أن ينتزع منه أراضي الجليل وطبريّا لكن استعداد صلاح الدّين لقتال الفرنجة أجّل النّزاعات الدّاخليّة بينهم حيث بدأ الملك جي يرسل في طلب رؤساء الإقطاعيات الممتدّة من عكّا إلى نهر الأردنّ مع جيوشهم، في الوقت الذي كان صلاح الدّين يحشد جيشه ليعبر من خلال سهل حوران متوجّهاً إلى الضّفاف الشّرقيّة لنهر الأردن، وفي نهاية شهر حزيران استعرض صلاح الدّين جيوشه في سهل حوران ثم سار باتّجاه جنوب بحيرة طبرية، ثم عبر الأردنّ للضفّة المقابلة وأقام معسكره على تلال قريبة من البحيرة[١٤٨].

وفي هذه الاثناء اجتمع الملك جي مع النّبلاء في عكّا للتّشاور في الأمر، حيث رأوا أن قتال صلاح الدّين في الصّيف أمر مستحيل بالنّسبة لهم بسبب ارتفاع درجات الحرارة خاصة وأنّ سهل حطين متاخم للجهة الغربيّة من غور الأردن ذو درجات الحرارة العالية، كذلك شح المياه في منتصف الصيف إذ تبدأ الينابيع بالجفاف، لكن الملك جي أمر بإرسال الجيوش باتّجاه طبريّا، في الوقت الذي كان جيش صلاح الدّين قد استقر في محيط البحيرة، حيث كانت تضاريس الأرض متفاوتة من جبال وأودية محصورة بين مسطح مائي كبير وهو بحيرة طبريّا ، ووجود الأوحال الطينية في الأحواض النهرية المجاورة، وسهل حطين الذي اختاره صلاح الدين كموقع مثالي لمعركته القادمة مع الفرنجة[١٤٩].

وبدأ صلاح الدين التعبئة العسكرية من خلال تجمع الجيوش الإسلامية في سهل حوّران منذ الربيع[١٥٠] وكان أول عمل قام به التوجه لشرق الأردنّ لتأمين القوافل القادمة من مصر والحجاز وإيصالها إلى بلاد الشّام ، وفي نفس الوقت أرسل في طلب المدد من الأقاليم المجاورة وهو ما تحقق له بالفعل فبدأ بالحشد العسكري والتخطيط لمعركة حطين بهجوم الجيوش المصرية القادمة من الجنوب على كل من الكرك والشوبك وما أنّ تجمعت باقي الجيوش في دمشق حتى توجهوا صوب طبريّا فكان أول التحام للجيشين في هذه الفترة معركة صفورية[١٥١]، وأختار صلاح الدين سهل حطين بحيث جعل نهر الأردنّ خلف جيشه وساحة الفرنجة المفتوحة

أمامه[١٥٢]، فيما كان يوم معركة حطين بالتحديد شديد الحرارة فأصبح الهدف الرئيسي لجيش الفرنجة من القتال هو الوصول إلى أقرب مصدر للماء سواء الآبار التي تحت سيطرة صلاح الدين أو بحيرة طبريّا وهذا ما أدى إلى حالة إرباك عسكرية واضحة في صفوفهم في الوقت الذي كان فيه الجيش الأيوبيّ منظم يحسن استهداف الفرنجة بالسهام ثم إنهال عليهم الجيش الأيوبي مما أدى إلى انهيارهم[١٥٣]

ويعزى انهيار الجيش الفرنجيّ في معركة حطين لعدة أسباب أبرزها العطش الشديد وحرارة الشمس و التعب الشديد الذي لحق بهم جراء ارتداءهم الدروع الثقيلة لفترة طويلة، بالرغم من استمرار القتال حتى حلول الظلام يوم الجمعة الموافق ٢٤ ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ/٣ تموز ١١٨٧م[١٥٤]، وحاول الفرنجّة خلال ذلك جذب الأيوبيين إلى أماكن تواجدهم كي يحدثوا ثغرات في صفوف الجيش الأيوبي للوصول إلى الماء لكنهم فشلوا بسبب صمود الأيوبيين في مراكزهم[١٥٥] واستمر القتال إلى صبيحة السبت ٢٥ ربيع الأول/ ٤ تموز، ولم يبدأ صلاح الدين القتال إلا بعد الساعة التاسعة صباحاً حيث اشتدت حرارة الشمس مع ارتداء الفرنجة الدروع التي رفعت من حرارة أجسادهم[١٥٦] وبلغ العطش مبلغه من الفرنجة حتى أن بعض جنودهم قد مات من شدة العطش، فقتل البعض واستسلم الأخر وهرب جزء ممن تبقى من خيام الفرنجة فاستسلم كبار قادتهم وهم جي ملك مملكة بيت المقدس و ارناط أمير الكرك و أمير جبيل و هيمفري ابن زوجة ارناط[١٥٧].

وأمّا بالنسبة لحصنيّ الشّوبك والكرك وحتى بعد استعادة صلاح الدّين الأيّوبيّ لمدينة القدس نفسها، عانى طويلاً في تحريرهما بسبب مناعة قلعتيهما المملوكتين للأميرة ستيفاني والدة هيمفري وأرملة ارناط، وبقي الحصنين صامدين لأكثر من سنة، حيث طلب صلاح الدّين من ستيفاني تسليمها ابنها الأسير مقابل إعادة الحصون لكنّ القادة المتحصّنين هناك رفضوا التسليم، فأطبق الملك العادل شقيق صلاح الدين الحصار على الحصنين، وعانى المحاصرون من مجاعة حقيقيّة لكنّهم صمدوا بسبب خروج الأطفال والنّساء لتدبّر أمورهم، كما كانوا يبيعون الرّقيق على البدو ويتقاضون بدلاً عنه الطّعام، وفي حالات أخرى كانوا يذبحون الخيل، ولكن لم تفلح كل محاولات الصّمود، فاستسلم حصن الكرك، تلاه حصن الشّوبك الذي صمد أكثر من سنة، ويرجع ذلك لأن الحصار الذي فرض على حصن الشّوبك كان أقلّ ضراوة واستعاد صلاح الدين لاحقاً سهل البقاع سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[١٥٨].

رابعاً: الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة لشرق الأردنّ في عهد مملكة بيت المقدس اللاتينيّة

أ- الأوضاع الاقتصادية:

انقسمت منطقة شرق الأردنّ الممتدة من بحيرة الحولة شمالاً إلى جبال الشراة جنوباً من حيث الطابع الزراعي إلى إقليمين رئيسيين، الحار في وادي الأردنّ ويزرع فيه الموز والنخيل، والبلقاء وهو إقليم بارد ومياهه غزيرة وتزرع فيه الفاكهة[١٥٩]، كما كانت منطقة شرق الأردنّ في العهد الفرنجيّ تمتد من سهل البقاع إلى الأغوار مرورًا بحفرة الانهدام التي تضم كل من نهر الأردنّ والبحر الميّت، وتميّزت هذه المنطقة بمزروعاتها ذات الطّابع المداريّ كقصب السّكر والقطن وهذه المنتجات سادت منذ العصور الإسلاميّة الأولى، فكانت منطقة الغور همزة وصل بين الجزيرة العربيّة و البحر الأبيض المتوسّط[١٦٠].

وكان ميناء آيلة على البحر الأحمر يتميز بعدة صفات اقتصادية تكمن في الأهميّة الجغرافيّة للمدينة فهي ملتقى طرق الحج والتجارة، الأمر الذي أدّى إلى ازدهار مكانتها في التجارة البحرية، إضافة إلى أنّها مدينة تتمتّع بتنوع الموارد الاقتصاديّة فيها، كونها تتمتّع بازدهار حرفتيّ: الصيد والزراعة. وموقعها الجغرافيّ المميز جعلها محط أنظار القوى المتصارعة في القرن السادس الهجري/ الثّاني عشر الميلاديّ، حيث تم احتلالها من قبل الملك بالدوين الأول سنة ٥٠٩هـ/١١١٦م بعد أن احتلّ الشّوبك، و وصل إلى سواحل البحر الأحمر[١٦١] و بقيت المدينة تحت السّيطرة الفرنجيّة إلى أن استردها صلاح الدين سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م[١٦٢] في عهد الدولة الزنكيّة، وهي واحدة من المدن السّاحليّة التي نظّم صلاح الدين الأيوبيّ حملة من أجل استعادتها من الفرنجة حيث أغار على كل من: عسقلان، والرّملة، وغزة، ففرض حصاراً حولها، واستطاع تحرير المدينة قبل أن يعود إلى مصر[١٦٣] وتأتي الأهميّة الجغرافيّة لمدينة آيلة كما ذكر سابقاً أنّها طريق للحج والتّجارة، فمن هنا استطاع الفرنجة خنق هذه المنطقة من خلال مضايقة حركة التجارة بين أوصال العالم الإسلاميّ، وفصل بلاد الشّام عن مصر خاصة في فترة حكم ارناط للكرك؛ من خلال فرض الضرائب على قوفل الحج الإسلاميّ والتّجارة البريّة التي كانت تمر في أراضي مملكة بيت المقدس من الجنوب.

وكانت مناطق شرق نهر الأردنّ من المناطق الاقتصاديّة المهمّة لدى الفرنجة من النّاحية الزّراعية، فبدأ استغلالها فعليّاً بعد سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م، فكانت بساتين الشّوبك منطقة إمداد غذائيّ قريب لمركز المملكة في بيت المقدس، حتّى أنّهم شبهوها ببساتين دمشق، واستغلّوا منطقة الأغوار الحارّة بزراعة قصب السّكّر، والبحر الميّت الذي استخرجوا منه الملح والقار أو القطران وهو مادّة نفطيّة قابلة للاشتعال كانت تستخدم في أغراض التّدفئة وإشعال النّار ولصناعة مقذوفات المنجنيقات، كذلك استفادوا من سواحل طبريّا في صيد الأسماك[١٦٤].

كما كانت منطقة شرق الأردن مورد مهم للغنائم، ففي ربيع سنة ٥١٢هـ/١١١٩م قام أمير الجليل جوسلين (josselin) بتنظيم غارة على قطعان من الماشية ترجع ملكيتها لقبيلة بدويّة

شرقيّ نهر اليرموك، ونظّم حملة قوامها مئة وعشرين فارساً للحصول على ممتلكات القبيلة، وممّا ساعد في فشل الحملة هو ضياع جوسلين في التّلال المحيطة بينما سقط اثنين من الأمراء في كمين أعدّه البدو، وفي خريف نفس السّنة قام الملك بالدوين الثّاني بإرسال جوسلين للإغارة على درعا في سهل حوران، وهي مركز مهم لإنتاج الحبوب الذي يمد دمشق بما تحتاجه من الغذاء، واستطاع نهب الغلال بعد أن فشل بوري ابن طغتكين في التّصدّي لهم(١٦٥)، وكان اختيار التّوقيت للغارة موفقاً، ففي الصيف يكون الفلاّحين قد انتهوا من جمع المحصول وخزّنوه استعداداً لفصل الشّتاء.

وخلال حكم الملك فولك، نشطت ظاهرة بناء القلاع، وحاول الفرنجة التغلّب على مشكلة تأمين مد القلاع العسكريّة بالأغذية والمؤن عن طريق توطين الفلاّحين الفرنجة حول هذه القلاع بغية تطوير الحياة الزّراعيّة للحصن أو القلعة، وفي الوقت نفسه كان الفلاح يمنح جزءاً من الغنائم التي يستولى عليها العسكر، ومن هنا بدأت تظهر القرى المحصّنة ذات الاكتفاء الذّاتيّ إضافة إلى أنها تقوم بحماية بيت المقدس من هجمات المسلمين وترفد المملكة بالمقاتلة والمحاصيل الغذائيّة والأعلاف(١٦٦).

وكان توطين الفلاّحين حول القلاع الضّخمة أسلوباً سائداً في العصور الوسطى سواء لدى المسلمين أو الفرنجة، فعندما أقيمت أبرز القلاع أقيمت حولها القرى الزّراعيّة بغية توفير المؤن في حالات الحصار الطّويل، ولكن في حال تعرّض هؤلاء الفلاّحين لهجوم مباغت فهم يتحصّنون في القلعة المجاورة، وهذا ما سوف يؤثّر على الإنتاج الزّراعيّ كونه سوف يتعرّض إلى الإهمال أو التّدمير، فعلى سبيل المثال: عندما هاجم صلاح الدّين قلعة الكرك بعد معركة حطّين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م هرب الفلاّحين والرّعاة باتّجاه القلعة(١٦٧)، الأمر الذي أثّر سلباً على المحصول الزّراعيّ وبالرّغم من صمود القلعة فترة طويلة، إلا أن نقص المؤن كان السّبب الرّئيسيّ في انهيارها.

وتوسع الفرنجة في أفضل المناطق التي يمكن الاستفادة منها اقتصاديّاً فمثلاً ساهم موقع الكرك الذي يفصل بين دمشق السّلجوقيّة ومصر الفاطميّة(١٦٨) في السّيطرة على طرق التّجارة البرّيّة، وبالنّظر إلى مناطق الأحواض النّهريّة فهي مهمّة جدّاً في العهد الفرنجي فبالرّغم من المعارك العسكريّة المتتالية على الأرض التي دمرت مساحات واسعة منها، إلا أنّ التّركيز لدى الأيّوبيّين في جنوب بلاد الشّام على الأحواض النّهريّة مثل حوض نهر اليرموك وحوض نهر الأردن كان واضحاً من خلال محاولة السيطرة عليها، والسيادة على المصادر المائيّة في نهر الزّرقاء والأغوار، وهذا أدى بدوره إلى انتشار الزّراعة في سهل حوران، ووادي الأردن، ووادي موسى، وكان من أبرز هذه المزروعات الزّيتون الذي يعتبر منتجاً تتميز به بلاد الشّام، ولأنّ

الموارد الزّراعيّة مهمّة للدّولة شجّع الأيّوبيّون استخدام نظام التبوير للأراضي الزراعيّة : أي يقوم الفلّاح على تقسيم الأرض لنصفين: نصف يزرعه، ونصف يتركه للموسم اللّاحق، وكانت تعتمد الزّراعة على مياه الينابيع أو مياه الأمطار، وهنا كانت الزراعة تقسم إلى قسمين بعلية معتمدة على مياه الأمطار ومروية معتمدة على مياه الآبار والينابيع[١٦٩]، كما شجع الأيّوبيّون زراعة البساتين التي تحوي أشجاراً متنوّعة فيذكر أنّ ابن شقيق صلاح الدّين المعظّم عيسى قام بزراعة الشّوبك بشتّى أنواع الأشجار حتى أصبحت تضاهي بساتين دمشق، فيذكر أنه: "جلب إلى الشّوبك غرائب الأشجار حتّى تركها تضاهي دمشق في روائها وتدفّق مائها وتزيد بطيب هوائها"[١٧٠].

وازدهرت زراعة قصب السّكر في غور الأردن إذ تشير الآثار الموجودة في عدّة قرى منتشرة في المنطقة الشّرقيّة لحوض نهر الأردنّ على انتشار معاصر قصب السّكر ما بين القرنين السّادس والثّامن الهجريّين/ الثّاني عشر والرّابع عشر الميلاديّين، وهذه القرى واقعة بطبيعة الحال في منطقة الأغوار الحارة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: قرية كريمة الجنوبيّة قرب وادي الأردن، وقرية ضرار قرب دير علّا، وطبقة فحل جميعها قرى تحوي معاصر لقصب السكر تعود للعصر الأيّوبيّ [١٧١].

ب- الأوضاع الاجتماعية:

عشية قدوم الحملات الفرنجية إلى جنوب بلاد الشام، كانت القبائل العربية تنتشر في محيط بحيرة طبريا وحوض نهر الأردن، بالإضافة إلى مجموعات عرقية أخرى كالأرمن والسريان والأتراك، وبعد توزع الفرنجة في مساحات واسعة في المنطقة ضمت مجموعة أخرى من القوميات كالفرنسيين والأنجليز والإيطاليين والألمان[١٧٢]، وفيما يخص القبائل العربية كان أهل طبريا من الأشاعرة [١٧٣]، والذين يعودون في نسبهم إلى قبائل كهلان القحطانية ، وتفرعت إلى قبائل لخم وجذام والمعافرة وكندة وعاملة[١٧٤]، وقبل ما يقارب من مئة سنة على قدوم الحملة الفرنجيّة الأولى يذكر المقدسي أن أهل طبريا يغلب عليهم المذهب السني، بينما أعتنق أهل عمّان المذهب الشيعي إذ يقول "وأكثر عمّان شيعة"[١٧٥]، فيما تغير التركيب السكاني مع التغلغل الفرنجي في جنوب بلاد الشام فدخل الفرنجة ضمن النسيج السكاني للمنطقة إذ يقول السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) "لقيت منهم ببيت المقدس وبلاد فلسطين جماعة كثيرة"[١٧٦].

ويذكر وليم الصوري أن المناطق الممتدة من وادي الموجب في الجنوب حتى الزرقاء في الشمال ومن حدود نهر الأردنّ حتى العمق الصحراوي وهو أحماء للقبائل العربية الممتدة في تلك المنطقة وكان يستخدم لفظ " العمونيين" على تلك القبائل ، فيما كانت عمّان هي مركز تواجدهم،

ويذكر ذلك بقوله: "إنّ الكشافة الثقات جاءوا بخبر تأكد صدقه بوجود قبائل عربية في شرق الأردنّ " كما يذكر أن وسائل الدفاع لديهم بدائية إذا ما قورنت بأسلحة الفرنجة مما جعلهم هدفاً سهلاً للهجمات الفرنجية منذ عهد الملك جودفري الذي نضم سرية للهجوم على القبائل شرقي نهر الأردنّ وبعد أنّ حققت الحملة أهدافها عادت إلى بيت المقدس، كما يذكر أنّ زعماء القبائل العربية عرضوا الهدنة على الملك جودفري فقبل بها لدرجة أنّ أحد زعماء هذه القبائل ذبح جملاً تكريما للملك جودفري وطلب من جودفري انّ يذبح جملاً أخر بيده ولم يعد العرب إلى مضاربهم إلا بعد أنّ قدموا للملك جودفري هدايا ثمينة من ذهب وفضة وخيل[١٧٧]، ويتضح هنا عدم تدخل السلاجقة في الدفاع عن الأراضي الجنوبية لشرق الأردنّ باعتبارها لا تخضع لسيطرتهم، كما أنهم حاولوا عدم توسيع دائرة النزاع مع الفرنّجة فتركوا الأطراف الخاضعة للقبائل تواجه مصيرها لوحدها[١٧٨]، الإمر الذي اضطر القبائل للاعتراف بالوجود الفرنجّي في جنوب بلاد الشّام، كما قدموا الهدايا للفرنجة للحد من خطرهم، إضافة لضمان سلامة القوافل التجارية[١٧٩]، وكان الهدف لزعماء القبائل هو إيجاد صيغة تجارية مشتركة كون هذه القبائل تُصرّف الفائض من منتجاتها الحيوانية للمدن الساحلية، ولكن بعد سقوط بيت المقدس أصبح الوجود الفرنجي يعيق الحركة بالنسبة للبدو[١٨٠].

ومن هنا يلاحظ أنّ الملك بالدوين الأوّل بدأ بالتّوسّع في الأراضي الصّحراويّة التي تتميز بارتفاع درجات الحرارة إضافة إلى وجود سبخات ملحيّة واسعة، كجنوب البحر الميّت، واتجه الملك بالدوين الأول للتوسّع بهدف زيادة مساحات إضافيّة على الأرض التي استولى عليها شقيقه الملك جودفري، فهاجم الملك بالدوين الأول القبائل البدوية في محيط الكرك سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م ولكن القبائل انسحبت إلى عمق الصحراء وفي السنة التالية ترصد للقبائل البدوية و أعاد الهجوم عليهم فقتل عدداً منهم وسبى النساء واخذ مواشيهم كغنائم وقفل راجعاً إلى بيت المقدس[١٨١].

وتوسع الملك بالدوين الأول كذلك في صحراء النّقب وأجزاء من جنوب الخليل، إضافة إلى الصّحاري الشّرقيّة وصولاً إلى البحر الميّت والبتراء، حيث يذكر أنّ حدود مملكته وصلت إلى مقام النّبي هارون في البتراء و يذكر أنّه قام في نفس السنة بمهاجمة إحدى القبائل العربيّة جنوب نهر الأردنّ ، وغنم وسبى عدداً من النساء ، ولكن عندما علم بحمل زوجة زعيم القبيلة، فضّل أن يطلق سراحها[١٨٢]، وهذه إشارة على مدى التوسّع الجغرافيّ الذي وصل إليه الملك بالدوين الأول لحدود الصّحراء وأماكن إقامة البدو، فيمكن القول أنّ الفرنجة كانوا يتنقلون بحريّة إذ إن أوّل إشارة لوجود تدخّل عسكريّ سلجوقي يعود لبعد ذلك بعدة سنوات، حيث كان أوّل تدخّل عسكريّ ملحوظ لسلاجقة دمشق في منطقة شرق حوض الأردن سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م

حينما حاول الأمير طغتكين أن يمنح الأراضي الممتدة بين البلقاء ومؤاب وجبال الشراة وصولاً إلى وادي موسى لأحد القادة السلاجقة ويدعى اصفبهذ التركماني[١٨٣]، ولكن هذا لم يردع الفرنجة الفرنجة من هجماتهم المستمرة، وكان ذلك مصدر قلق مستمر للسكان المحليين[١٨٤].

ومنذ أنّ تولى الملك بالدوين الأول الحكم خلفاً لشقيقه جودفري كثف هجماته على منطقة السواد شمال وشرق بحيرة طبريّا، ولكن بدأت هذه الهجمات تزداد بعد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[١٨٥]، وكان هدف بالدوين الأول من مهاجمة هذه المنطقة هو الحصول على أكبر قدر من الغنائم والحد من التوسع السلجوقي في المنطقة[١٨٦] وفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، أرسل طغتكين جيشاً إلى أدوم[١٨٧] جنوب الأردنّ لنجدة البدو هناك، وكان الهدف من ذلك إنشاء قاعدة عسكريّة ثابتة للسلاجقة على جبال الخليل، ولكن الملك بالدوين الأوّل وجّه جيشه إلى وادي موسى ووادي عربة وصولاً إلى البتراء بحجة حماية الأديرة المسيحيّة هناك، لكنّه لم يدخل في أيّ اشتباك عسكريّ بسبب عدم رغبته في دخول حرب مع السلاجقة، ولكنّ خبر وصول الملك بالدوين الأوّل إلى المنطقة سارع في انسحاب السلاجقة إلى دمشق بينما واجه البدو مصيرهم لوحدهم، حيث قام الملك بالدوين الأوّل بسلب مواشيهم وإحراق كهوفهم[١٨٨] ولكنّ الهدف يبدو واضحاً وهو مهاجمة قواعد البدو كي لا يتجدّد أيّ تحالف بينهم وبين السلاجقة مستقبلاً ، مما أضطر أهل المنطقة للخضوع لشروط معاهدة أبرمت بين سلاجقة دمشق و فرنجة بيت المقدس تقضي بتقسيم المنطقة لثلاث اجزاء جزء للسلاجقة وجزء للفرنجة وجزء للسكان المحليين على أنّ تستمر الهدنة لأربع سنوات بدءاً من سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، وضمت هذه المنطقة جبل عوف[١٨٩] بالإضافة لباقي سواد الأردنّ[١٩٠]، ولكن بعد سنتين تم تعديل بنود المعاهدة فتوسع الوجود الفرنجي وصولاً إلى مساحات أكبر[١٩١] وفي هذا الصدد يقول ابن واصل "إن طبرية في عهد الفرنج تقاسم على نصف مغل بلاد الصلت والبلقاء وجبل عوف والجولان إلى بلد حوران"[١٩٢].

وبالعودة لسنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م علم الملك بالدوين الأول بنية بدو شرق وادي موسى بمهاجمة جبال الخليل فما كان منه إلّا أن أرسل قوّة عسكريّة قضت عليهم؛ فأحرقت بيوتهم واستولت على قطعان ماشيتهم ولكنّ من الجدير بالذّكر أنّ تلك المناطق كانت مليئة بأديرة المسيحيّين الأرثوذوكس، فقام الملك بالدوين الأول بترحيل المسيحيّين من تلك المناطق إلى داخل مملكة بيت المقدس لأنّه خشي من انتقام البدو[١٩٣].

وكان ولاء زعماء القبائل العربية في هذه المنطقة متقلب خلال هذه الفترة فيذكر أن طغتكين السلجوقي حاكم دمشق قام بطرد أحد إمراء بني ربيعة لأنه متقلب الولاء بين الفرنجة والفاطميين وهومن أبرز زعماء القبائل البدوية يدعى أبو عمران فضل بن ربيعة الطائي وهو زعيم قبيلة طي في البلقاء ، الذي لم يثبت على ولاء واحد فقد كان يميل إلى الفرنجة احياناً وإلى

الفاطميين احياناً أخرى مما جعل السلطان السلجوقي يعاقبه بالطرد من بلاد الشام فلجأ إلى سيف الدولة صدقة الأسدي[١٩٤] أمير الحلة (٤٧٩-٥٠١هـ /١٠٨٦-١١٠٧م) في العراق، وتحالف معه وأهداه سيف الدولة صدقة سبع الاف دينار، ولكن سرعان ما انهار هذا التحالف بقتل الأمير سيف الدولة صدقة الأسدي على يد السلاجقة في نفس السنة[١٩٥].

وفي سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م، زحف عدد كبير من البدو من شمال الجزيرة العربيّة باتجاه جنوب بلاد الشام ، بسبب عدم وجود حماية كافية من جهة الصّحراء، وبعد أن استطاعوا العبور وصلوا إلى أطراف مملكة بيت المقدس قاموا بمهاجمة المحاصيل الزراعيّة في شهريّ نيسان وأيار، قبيل موسم الحصاد فأتلفوا قسماً كبيراً من تلك المحاصيل قبل أن ينسحبوا إلى مناطقهم ، وهذه الحادثة مهّدت الطّريق أمام الملك بالدوين الأول لغزو المنطقة، حيث عاد ليفكّر بالمنطقة جديّا، فتوجّه سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م إلى الشّرق بهدف السّيطرة على وادي عربة كي يضمّه إلى مملكته بشكل دائم[١٩٦]، ويعتبر هذا الوادي خط دفاع خلفيّ عن المملكة في حال تعرّضها لأيّ هجوم بدويّ أو سلجوقي، كما هدف الملك بالدوين الأول أيضاً للحيلولة دون حدوث تحالفات فاطميّة / سلجوقية في المستقبل ، وهذا ما حدث فعلاً في أواخر عهد مملكة بيت المقدس عندما أصبحت المنطقة ممراً للجيوش الزنكيّة، والأيّوبيّة.

وبالرغم من ذلك بقيت القبائل البدوية تشن غارات متواصلة على أطراف مملكة بيت المقدس إلى أنّ قرر بالدوين الأول أحكام سيطرته على المنطقة سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م[١٩٧] ومن هنا يتضح أنّ الفترة الأولى للوجود الفرنجي في المنطقة إن منطقة شرق الأردنّ كانت ساحة للصراع العسكري الفرنجي / السلجوقي فيما كان السكان الأصليين هم من القبائل التي تحاول أنّ تحافظ على ممتلكاتها على الأرض

وفي السنوات اللاحقة كان للصراعات التي شهدتها دمشق في سنة ٥٤٤هـ/١١٥٠م بين نور الدين زنكي وقادة دمشق أثرها على سهول حوران التي كانت عرضه لغارات الفرنجة، وحاول نور الدين الحد من عبث الفرنجة بممتلكات الفلاحين في المنطقة، ولكن ترويع الفرنجة المستمر للفلاحين والجفاف الذي ضرب المنطقة في هذه السنة أجبر العديد من سكان المنطقة للهجرة إلى أطراف غوطة دمشق إذ يقول ابن القلانسي "وكثرت شكاية المسلمين من أهل حوران والعربان بأن الفلاحين الذين أخذت أموالهم وشتت نساؤهم وأطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم"[١٩٨].

كما مارس فرسان الاستباريّة (Knight Hospitaller)[١٩٩] الأكثر تنظيماً بين القوى العسكريّة الفرنجيّة، أعمال ذات طابع خيريّ للفرنجة أكثر منها عسكرية تتلّخص : بتقديم المساعدات الخيريّة للفقراء، وتقديم خدمات الضّيافة للحجاج المسيحيين، حيث كانت دور الضّيافة تتّسع لألاف الحجّاج سنويّاً، وتوفير خدمات الطبابة لمصابيّ الحروب والمرضى

والفقراء، وتوزيع الأموال على فقراء المملكة، والعناية بموقع نهر الأردنّ الذي يتوافد عليه الحجاج باستمرار[٢٠٠].

وعلى صعيد آخر فبالرّغم من حالة العداء الكبيرة بين بطاركة القدس اللاتينية والسّكّان المحليّين من المسيحيّين الشرقيين " الأرثوذكس " إلّا أنّ الملك بالدوين الأول لم يكن يسير مع الكنيسة بنفس المسار، فقد كان تعامله مع الرّعايا المسيحيّين الشّرقيين شبيهاً بالتّعامل مع رعاياه الأوروبيّين، ففي سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م احترم تقاليدهم في عيد الفصح لدرجة أنّه كان يتحدث معهم بلغتهم كما منع الكنيسة الكاثوليكيّة من التّدخّل في معتقداتهم، و شجّع هجرة المسيحيّين من شرق الأردن إلى داخل حدود مملكته، وبالرّغم من مظّاهر اللّطف في التعامل مع المسيحيّين الشّرقيّين إلّا أنّه أخضع كنائس بيروت وصيدا لحكمه بالقوة سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م مع العلم أنّ هذه الكنائس تتبع بالأصل لكنيسة أنطاكية الشّرقية، إلّا أنّه فضّل ضمّها لإملاك مملكة بيت المقدس متجاهلاً التّوبيخ الذي وجّهه له البابا باسكال الثاني (Paschalis II) من روما[٢٠١].

أما بالنسبة للوجود العربي الإسلامي في شرق الأردن، فقد كان سكّان طبريّا من المسلمين فيما كان سكّان جند الأردنّ خليطاً من عرب وعجم " التركمان والأكراد" ، وسكّان جند فلسطين هم خليط من قبائل عربية وبالتّحديد قبائل لخم وجذام وعاملة وقيس وكنانة وكندة، إضافة إلى العجم[٢٠٢].

فيما كانت المنطقة المحصورة بين دمشق ومملكة بيت المقدس، منطقة ذات سيادة شبه مستقلّة وهي طبريّا وسواد الأردن، وكان يتزعّم السّيادة فيها بشكل كبير المسيحيّين من أرمن وسريان وموارنة[٢٠٣]، ولكن هذه المنطقة أصبحت فيما بعد من الأماكن الخاضعة إلى السّيطرة الفرنجيّة من خلال إقامة إمارة جديدة تمتد من عمّان إلى العقبة لقطع الطّريق على المسلمين بين مصر والشام، وأطلق عليها اسم إمارة الكرك[٢٠٤].

ويلاحظ أنّ عدد الفرنجة في بلاد الشّام بين سنتي ٤٩٢هـ/١٠٩٩م و ٤٩٨هـ/١١٠٥م أقلّ من عدد المسلمين بكثير لكنّ المدد المتتابع من أوروبا جعلهم قادرين على الحفاظ على مكاسبهم على الأرض[٢٠٥]، قدر المستطاع ومما دعم بقاءهم هو انشغال الدّاخل الإسلاميّ بنزاعاته الدّاخليّة، لذلك لحل مثل هذه المشكلات قام الملك بالدوين الأول بعدة إجراءات، فلاحظ مع بداية وصوله للملكة: أنّ عدد السّكّان قد أصبح قليلاً جداً خاصّة مع فرار المسلمين إلى مناطق أخرى، فكان لابدّ من سدّ الفجوة السّكانيّة عن طريق جلب المسيحيّين في المنطقة، وكان عدد من المسيحيّين في تلك الفترة يقطنون في منطقة شرق نهر الأردنّ " الكرك والشوبك وعجلون والبلقاء" ، فقام الملك بالدوين الأول بترحيلهم إلى القدس وتوطينهم فيها، بالرّغم من اعتناقهم الأرثوذكسيّة، حيث ساعده هؤلاء على إعادة تثبيت حكمه وسهولة السّيطرة على المدينة[٢٠٦]،

ويذكر أنّ الأديرة المسيحية كانت منتشرة في الكرك قبل قدوم الفرنجة ولكن كان رهبان الأديرة يتعرضون لهجوم مستمر من القبائل البدوية الأمر الذي سمح للفرنجة بالتدخل بحجة حمايتهم[٢٠٧].

وفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م، عاد الملك بالدوين الأول مرة أخرى لتنظيم وضع السّكّان المسيحيّين فقام بترحيل باقي مسيحيي شرق الأردنّ وتوطينهم في حي خاصّ بهم شمال شرق مدينة القدس وهو حي كان يسكنه اليهود قبل قدوم الحملة الفرنجيّة الأولى[٢٠٨].

وفي جنوب بلاد الشّام عمل أبناء القبائل في أطراف مملكة بيت المقدس كأدلاء للجيوش الإسلاميّة العابرة على الحدود الشّرقيّة فكانوا على دراية بالطّرق والمعابر في مناطق تواجدهم، وأشاد وليم الصوري بدرايتهم الجغرافيّة فيقول: "لديهم معلومات كافية عن حالتنا". حتّى وصل الحال بالفرنجةعجزهم في بعض الأحيان من تجاوز حدود التّحصينات خوفاً منهم[٢٠٩]، كما كان للزّراعة دوراً رئيسياً في تحوّل عدد منهم إلى فلّاحين مستقرين بعد أن هاجروا إلى وسط فلسطين وهي مناطق زراعيّة أكثر خصوبة من شرق الأردن[٢١٠].

كما أدخل صلاح الدّين الأيّوبيّ الأكراد إلى مناطق شرق نهر الأردن سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، بصفة عسكريّة حيث كانوا فئة مهمّة من فئات الجيش الأيّوبي، ويرجع ذلك إلى سهولة استجلابهم من مناطق تركّزهم في الجبال الشّماليّة للدّولة العبّاسيّة ، وكانت هذه القوّات دائمة التّجوال في مناطق البوادي الشّرقيّة لمملكة بيت المقدس، فقاموا بحصار الشّوبك والكرك والإغارة على المدن الشّرقيّة في مملكة بيت المقدس في نابلس والقدس، كما تمّ تشييد قلعة عوف على جبل عجلون بمساعدتهم، وأسكن جزءاً من الأكراد الهكاريّة[٢١١] في السّلط لحماية القلعة، وهذه الفرقة كان لها دوراً كبيراً في سلسلة المعارك التي خاضها صلاح الدّين مع الفرنجة بين سنتي (٥٧٢-٥٨٥هـ/١١٧٧م- ١١٨٩م) [٢١٢] وأطلق على تجمّعهم في السّلط اسم محلّة الأكراد[٢١٣]، وكانت هذه المحلّة مكان تجمّع سكانيّ ونشاط اقتصاديّ كبير في تلك الحقبة[٢١٤]، وما زالت هذه التسمية ماثلة في مدينة السلط الأردنية حتى الوقت الحاضر .

ويذكر على سبيل المثال أنّ مدينة الشّوبك التي أقيمت بجانب قلعة مونتريال وصل تعداد سكّانها بعد خروج الفرنجة سبعة آلاف نسمة[٢١٥].

وفي فترة التوسع الأيوبي في شرق الأردنّ أظهرت قبيلة بني عوف القضاعية التي تسكن جبل عجلون العصيان[٢١٦]، ولكن أجبروا على الدخول في طاعة الدولة الأيوبية بعد أن أمر صلاح الدين قائده عز الدين أسامة[٢١٧] أن يبني قلعة على جبل عوف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م مما أجبر هذه القبائل للدخول في طاعة الدولة الأيوبية[٢١٨]، وجاء بناء عز الدين أسامة للقلعة في الأصل لحماية الجند الأيوبي من تعديات قبيلة بني عوف حين أوهمهم أن هدف بناء القلعة هو

حماية الطريق من تعديات الفرنجة ولكن ما أنّ انجز بناء القلعة حتى دعا شيوخ القبائل لدخولها فأسرهم للحد من تمردهم، وكانت المنطقة تضم مجموعة من الأديرة المسيحية[٢١٩]، وضم جبل عوف مجموعة من القرى المحيطة ذات الطابع الزراعي التي كان أهلها من الفلاحين كقرى الغرية وصوفة وحنيك وأم الخشب[٢٢٠]، وهذه القرى لم تعد تحمل نفس المسميات في وقتنا الحاضر، ومن هنا يتضح أنّ منطقة شرق الأردنّ حاولت أنّ تبقى مستقلة اجتماعياً، وبعيدة عن أي نزاع سياسي أو عسكري ولكن الطبيعة الجغرافية للمنطقة أرغمت السكان المحليين للخضوع بشكل أو بأخر لهذه الأطراف كونها منطقة محورية تسعى جميع الأطراف لضمها والتوسع على حسابها .

الخاتمة

شهد عهد مملكة بيت المقدس اللاتينية على مدار ثمانية وثمانين عاماً العديد من الصراعات والنزاعات بالرغم من وجود عدد من المعاهدات بين الفرنّجة ومحيطهم الإسلامي، وبالرغم من أن منطقة شرق نهر الأردنّ هي امتداد جغرافي طبيعي للمملكة إلا أنها كانت مصدر خطر وسط محيط إسلامي متعدد الأطراف و الولاءات لذلك يتضح أنّ منطقة شرق الأردنّ كانت محط أنظار الجميع في تلك الفترة سواءاً كانوا فرنجة ، أو سلاجقة ، أو فاطميين ، أو زنكيين ، أو أيوبيين .

وشهدت المنطقة تطوراً إدارياً كان منبعه الريبة بالدرجة الأولى فمن خلال تتبع الأحداث العسكرية في المنطقة نجد أنه من الطبيعي سعي الفرنجّة للتوسع في الحدود الإدارية المتاخمة للصحراء، بل وزيادة المنشآت الحربية المتمثلة بزيادة التحصينات الحربيّة والقلاع على طول الحدود الشرقية لوادي الأردنّ، فكان لابد من بناء قلعتي الشوبك " مونتريال " والكرك ، والتي استفاد منها الفرنجة لاحقاً.

وبقي التطور مستمر في فترات متتابعة، فمن الملاحظ استمرار الفرنجة بزيادة تحصيناتهم منذ عهد الملك بالدوين الأول ولم تتوقف هذه الانشاءات حتى عهد صلاح الدين الذي أمر ببناء قلعة عجلون وهي مثال بارز على الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، كما شهدت هذه الفترة تطور في المراسلات الدبلوماسية و الأساليب الحربية.

ولم يقتصر التطور في هذه الفترة على الإنشاءات العسكريّة بل حدث تغير ملحوظ على الأنظمة التجارية والنسيج الاجتماعي فبالرغم من الإشارات الخجولة للتركيب السكاني في شرق الأردنّ في المصادر التاريخية وبالتحديد فيما يخص القبائل التي كانت على تماس دائم مع الفرنجة إذ نادراً ما يتم ذكر اسماء القبائل بل تكتفي المصادر بذكر مصطلح "بدو" أو "القبائل"، إلا أنه من الملاحظ حدوث تنوع عرقي كبير خلال قرن من الزمن إذ يمكن ملاحظة أثار هذا

التغيير حتى وقتنا الحالي، ودخول عناصر بشريّة وافده من فرنجة ، وتركمان ، وأكراد ، كما قام أطراف النزاع : الفرنجة من جهة ، والأيوبيين من جهة بعدة إجراءات غيرت التركيب السكاني في شرق الأردن ، وعليه فقط تغير المكون السكاني للمنطقة .

وبذلك نجد أنّ تأسيس الفرنجة لإمارة الكرك كان له اهدافاً استراتيجية وعسكرية واقتصادية في مقدمتها السيطرة على الطرق التجارية البريّة، إضافة لتوفير عمق يحمي حدود المملكة من أي اعتداء مباغت، ولكن اختيار ارناط كأمير عليها كان خطأً فادحاً من قبل الفرنجة خاصة وأنّ التاريخ الحربي لهذا الشخص مليء بالغطرسة مما جعل وجوده في هذه المنطقة بالتحديد سبباً لأثارة نقمة صلاح الدين مما مهد للقضاء على مملكة بيت المقدس نهائياً ، لتدخل بذلك شرق الأردن طوراً جديداً من تاريخها ، في ظل الحكم الأيوبي والذي توج لاحقاً بقيام إمارة الكرك الأيوبية ، والتي شملت معظم انحاء شرق الأردن في الوقت الحالي .

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

ملحق الخرائط

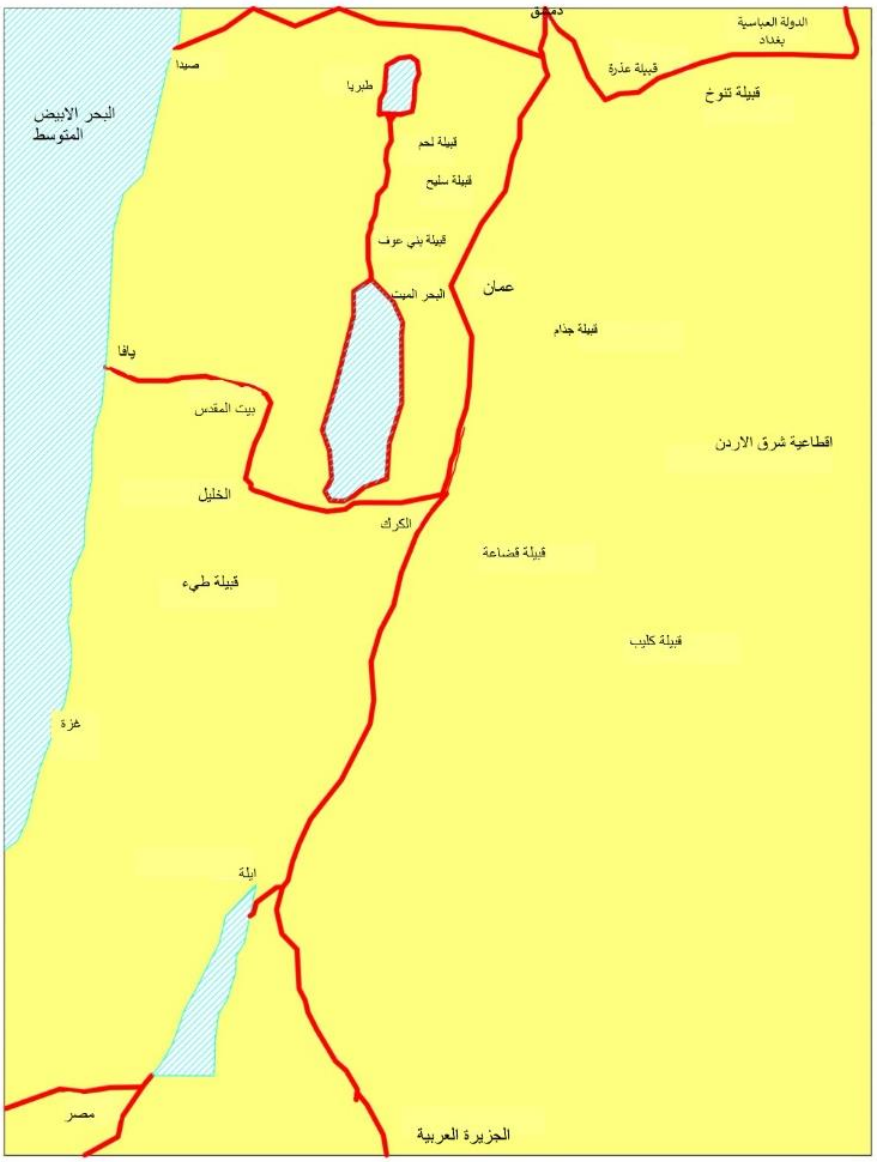

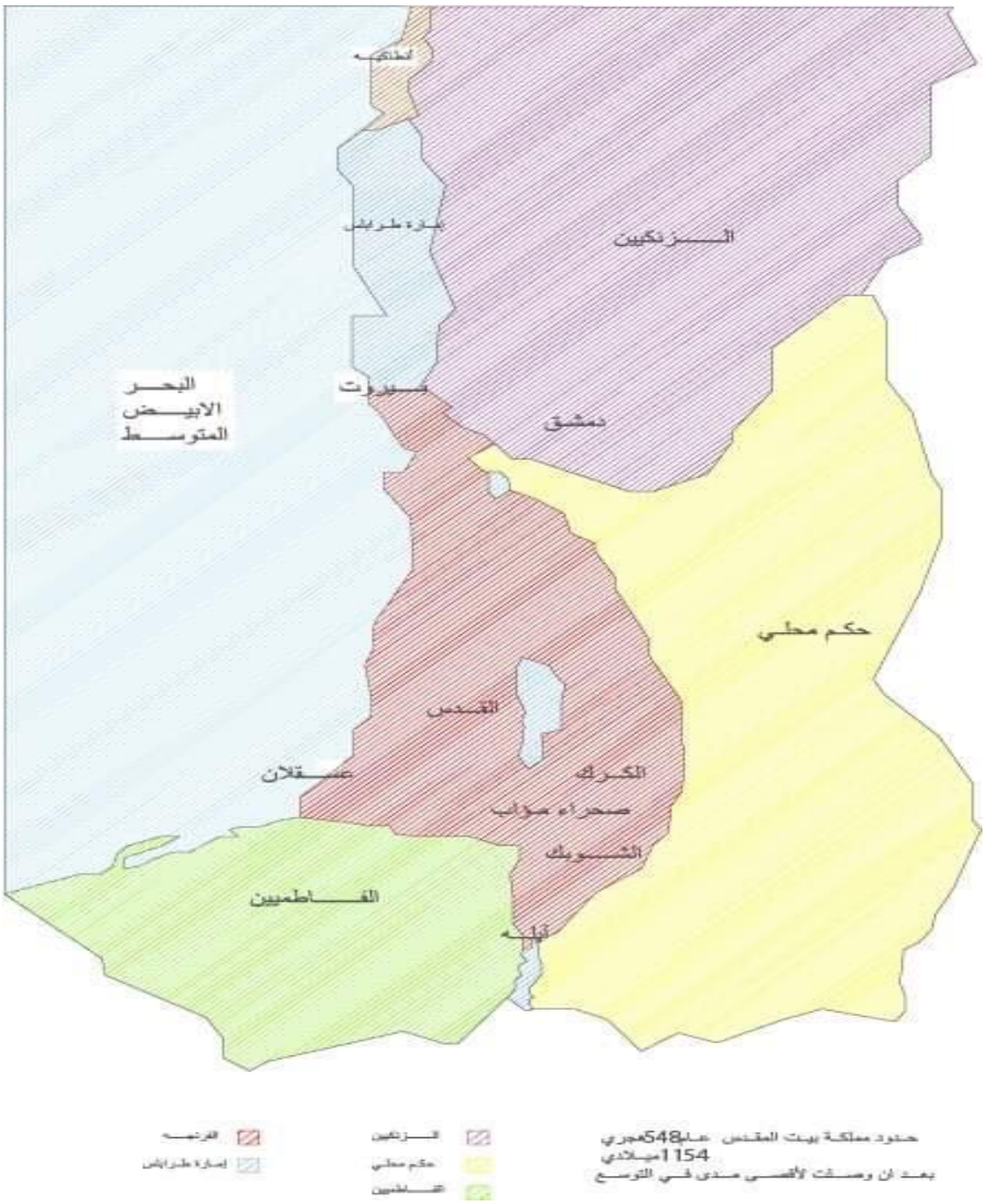
انطاكيه
امارة طرابلس
الزنكيين
البحر
الابيض
المتوسط
صور
دمشق
حكم محلي
القدس
الكرك
عسقلان
صحراء موآب
الشوبك
الفاطميين
ايلة
حدود مملكة بيت المقدس عام548هجري
1154ميلادي
بعد ان وصلت لأقصى مدى في التوسع
الزنكيين
حكم محلي
الفاطميين
امارة طرابلس

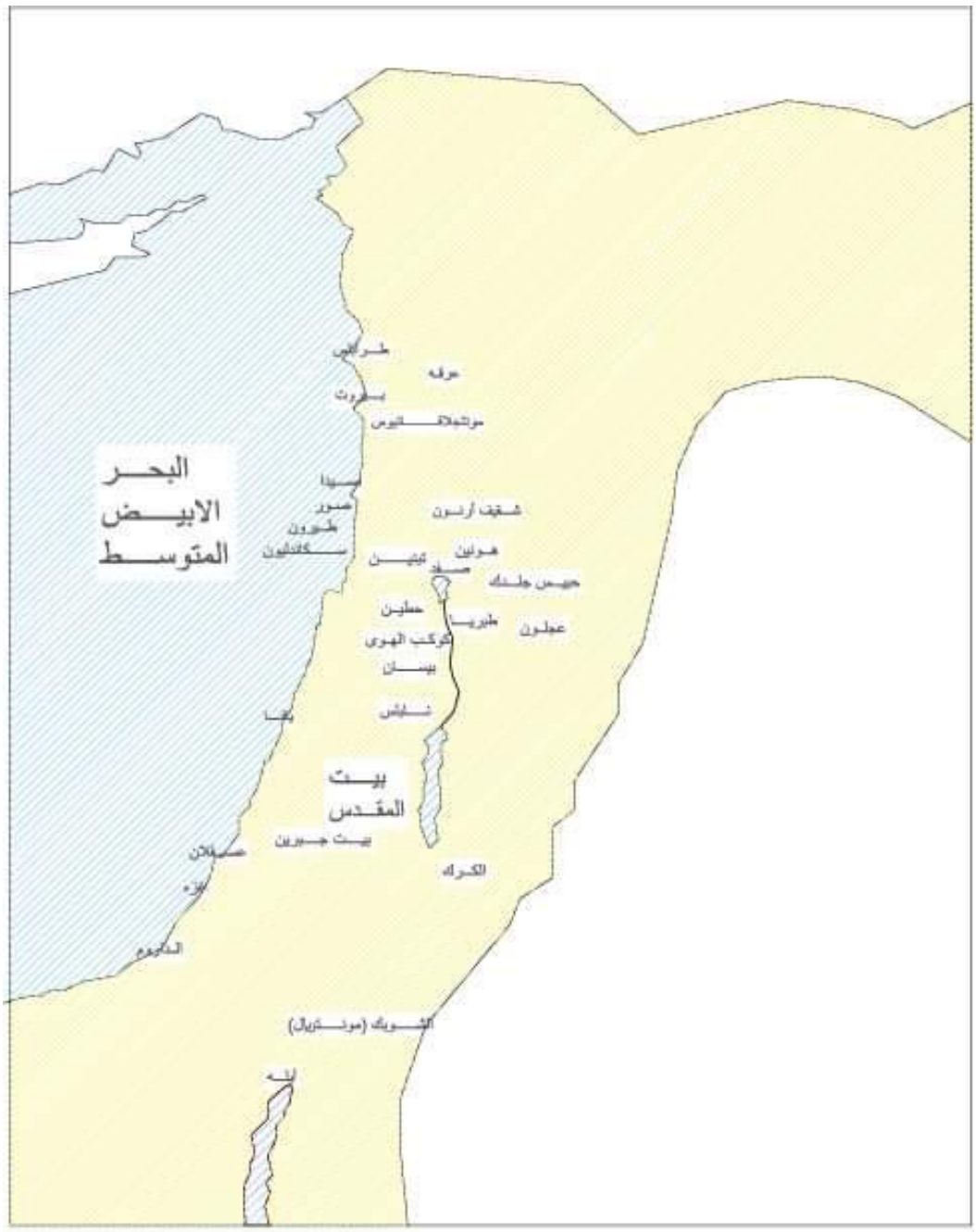

خريطة توزيع القلاع في بلاد الشام في القرن السادس هجري - الثاني عشر ميلادي

الهوامش:

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ٢٠ج، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٢٤٤، وسيشار له لاحقاً: علي، تاريخ العرب.

(٢) هي فرع من قبيلة قضاعة اليمانية يرجع نسبهم إلى سَليح وهو عمر بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/١١٧٨م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وأخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م، ج٥، ص٣١٦٧، وسيشار له لاحقاً: الحميري، شمس العلوم.

(٣) مدينة تقع جنوب بلاد الشام، شملت في فترة قبل الإسلام حتى القرون الإسلامية الأولى العديد من القرى إذ شملت على إطراف حوران إلى عمّان حتى جبال الشراة قرب البتراء في الجنوب، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، اللباب في تهذيب الأنساب، ط١، ٣ج، دار صادر، د:ت، ج١، ص١٧٥.

(٤) قبيلة يمانية هاجرت إلى جنوب بلاد الشام وتنسب إلى عمرو بن عدي اللخمي (ت٢٩٥م) وهو من ملوك الحيرة قبل الإسلام، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، الاعتصام، ط١، ٣ج، تحقيق: محمد الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٨م، ص٣٢.

(٥) قبيلة يمانية من قضاعة تنسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب من بني قضاعة وامتدت القبيلة بين دومة الجندل شمال الحجاز وجنوب بلاد الشام وبادية السماوة جنوب العراق، مجموعة من المؤلفين، معجم الشعراء العرب، مرقم الياً للمكتبة الشاملة، د:ت، ص٥٦٩.

(٦) كرد علي، محمد، خطط الشام، ط٣، ٦ج، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م، ج١، ص٦٢. وسيشار له لاحقاً: كرد علي، خطط الشام.

(٧) معد كلمة عربية تعني الشظف في العيش وحياة البداوة وحتى أن الاشوريين أطلقوا عليهم لفظ البدو، علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٢٩٩، وقيل في اللغة أن عمر بن الخطاب قال: اخْشَوْشِنوا، وتَمعْدَدُوا، أي يصبح الرجل خشن في عيشة غليظ في المشية وصلابة الجسد، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت٧١١هـ/١٣١٢م)، لسان العرب، تحقيق: اليازجي ومجموعة من اللغويين، ط٣، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٥٤.

(٨) علي، تاريخ العرب، ج١، ص٢٩٨، ٢٩٩.

(٩) يعود أصلهم إلى قبائل الأزد القحطانية، وخرجوا من اليمن في عهد الملك عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، في مطلع القرن الثالث الميلادي، ونزلوا بادئ الأمر عند عين ماء اسمه غسان في تهامة غرب الجزيرة العربية وبذلك سموا الغساسنة ثم تابعت القبيلة هجرتها نحو الشام في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م، ص١٤١.

(١٠) هو عمرو بن جفنة الغساني يعود نسبة إلى عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء الغساني من قبائل الازد اليمانية، وكان ملك الغساسنة و عامل قيصر الروم على بلاد الشام، توفي في الشام سنة ٢٧٠م، العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، سمط النجوم العوالي في

أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٥٨.

(١١) قبيلة يمانية وسميت بتنوخ لأنهم تنوخوا أي استقروا ، بقوا مستقرين في مواضعهم بجنوب بلاد الشام وغرب العراق ومنهم الأنباط، المعافري، سعيد بن محمد ابن حداد القرطبي، (ت بعد ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، الأفعال، تحقيق: حسين شرف، د:ط، ٤ج، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣، ص٣٣٦٥.

(١٢) قبيلة يمانية وهي فرع من قبيلة قضاعة تنسب إلى عذرة بن سعد بن هذيم كان مركزها وادي القرى قرب المدينة المنورة وامتدت إلى جنوب بلاد الشام،الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي، (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)، شرح مقامات الحريري، ط٢، ٣ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٢٤٨.

(١٣) دسوقي، محمد عزب، القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٧، ٣٨، وسيشار له لاحقاً: دسوقي القبائل العربية.

(١٤) الحميري، عبدالملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، التيجان في ملوك حميّر، ط١، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ، ص٢٩٧، وسيشار له لاحقاً: الحميري، التيجان.

(١٥) نسبة إلى جذام عمرو بن عدي بن الحارث من كهلان القحطانية، السمعاني، عبد الكريم بن محمد المروزي (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)، الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي وآخرون، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م، ج٣، ص٢٥٩، وسيشار له لاحقاً: السمعاني، الأنساب.

(١٦) التي كان مركزها الكرك جنوب بلاد الشام القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣١٣.

(١٧) وهم فرع من قبيلة بني كنانة العدنانية استوطنوا جنوب بلاد الشام، الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، غزة، د:ت، ج٥، ص٣٧٤.

(١٨) كان عامل بيزنطة على عمان من أرض البلقاء، اعتنق الإسلام وكتب إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم رسالة يعلمه فيها بإسلامه وبعث إلى الرسول هدية تضمنت فرساً وبغلة وحمار ومجموعة أثواب، فلما علم إمبراطور بيزنطة بإسلامه صلبه حتى مات، ابن سعد، أبو عبدالله محمد البغدادي (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ٨ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٤، ص٤٣٥.

(١٩) عين ماء يقع جنوب البلقاء إلى الشرق من بيت المقدس، البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١،٦ج، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٩٤٦ ، وسيشار له لاحقاً : البغدادي ، مراصد الإطلاع

(٢٠) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، ٧ج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص١٣١ ، وسيشار له لاحقاً : ياقوت الحموي ، معجم البلدان

(٢١) نسبة إلى مالك بن عدي من قبائل كهلان القحطانية كانت من القبائل التي هاجرت إلى الشام وامتدت مناطق تواجدها من الجولان إلى حوران إلى البحر الميت و جبال الشراة قرب البتراء جنوب بلاد الشام والرملة، الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م)، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٨٤م، ص١٢٩.

(٢٢) نسبة إلى جلهمة بن أدد من قبائل كهلان القحطانية هاجروا إلى بلاد الشام قبل الإسلام، القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٣٤.

(٢٣) دسوقي، القبائل العربية، ص١٠٥-١١٨.

(٢٤) دسوقي ، القبائل العربية ، ص١٢٥.

(٢٥) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ٨٠ج، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٢، ص٦٦.

(٢٦) قرية من أعمال البلقاء تكمن أهميتها ببركة المياه التي أقيمت فيها في العهد الروماني فكانت تزود القوافل بالمياه، وأصبحت استراحة لحجاج بلاد الشام بعد الفتوح الإسلامية ، وبقيت مجمع للقوافل البدوية حتى الوقت الحاضر ، كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، ٥ج ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص ٦٨٧

(٢٧) ابن الأثير، أبوالحسن علي بن أبي الكرم الجزري، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عبدالسلام التدمري، ط١،١٠ج، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٤٨، وسيشار له لاحقاً : ابن الأثير ، الكامل .

(٢٨) نسبة إلى الازد بن الغوث من قبائل كهلان القحطانية ويتفرع منها العديد من قبائل العرب كقبيلة مازن وخزاعة والأوس والخزرج، السمعاني، الأنساب، ج١، ص٢١٣.

(٢٩) دسوقي، القبائل العربية، ص١٣٤، ١٣٥.

(٣٠) هو ملك الغساسنة جنوب بلاد الشام كان يعتنق الديانة المسيحية أسلم في عهد عمر بن الخطاب ولكنه تشاجر مع أحد المسلمين في الحرم المكي فحكم عليه عمر بن الخطاب بالقصاص فرفض ذلك فارتد عن الإسلام وغادر إلى بلاد الروم ، ثم تحالف مع بيزنطة ضد المسلمين، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٢، ص٣١- ٣٣.

(٣١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٣٦، وسيشار له لاحقاً : البلاذري ، الفتوح .

(٣٢) دسوقي، القبائل العربية، ص١٥٩.

(٣٣) البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص٣٣٠.

(٣٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٤.

(٣٥) ينحدر أصل القبائل العدنانية من نزار بن معد بن عدنان وهي القبائل التي سكنت شمال الجزيرة العربية وسميت بعرب الشمال أو العرب المستعربة، القارئ، عبدالعزيز، دراسات في أصول اللغات العربية، ط٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٧٤م، ص١٢٥، وسيشار له لاحقاً : القارئ ، دراسات في أصول اللغة العربية المسلمين في الحرم المكي

(٣٦) وهي قبائل يمانية سكنت جنوب الجزيرة العربية ويطلق عليهم أسم عرب الجنوب أو العرب العاربة ثم هاجر جزء منها إلى بلاد الشام، القارئ ، دراسات في أصول اللغة العربية ، ص١٢٣.

(٣٧) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبدالعزيز الراجكوتي،ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٩٣٦م، ص٣.

(٣٨) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، ط١، ٤ج، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ٢٠٠٥ م، ج٢، ص٩٥.

(٣٩) هي ثورة حدثت في فلسطين جنوب بلاد الشام سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢ م على يد شخص يدعى المبرقع اليماني وسمي بذلك لأنه كان يرتدي برقعاً يغطي وجهه بعد محاولة أحد جنود العباسيين دخول بيته في غيابه فقتله، ثم اختبأ في جبال الأردن وبدأ يدعو الفلاحين للثورة على ظلم الدولة العباسية وانضم إليه مجموعة كبيرة من فلاحين القرى المجاورة، قدرتها بعض المصادر بمئة الف فلاح، لكن سرعان ما تخلى عنه الفلاحين في الخريف بسبب موسم حراثة الأرض مما سهل وقوعه في أسر العباسيين، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، ١٩ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١١، ص١١٧، ١١٨.

(٤٠) الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة (أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م، مأخوذ من ورقة بحثية منشورة ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر، ٢ج، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م، ص١٠٨-١١٠.

(٤١) قبائل بدوية رعوية، تركية الأصل موطنهم الأصليّ سهوب تركستان في أواسط آسيا، ولكن بدأت هذه القبائل بهجرتها باتّجاه العالم الإسلاميّ في أواسط القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ، حيث اعتنقوا الدّين الإسلاميّ، وبقيت حركاتهم التّوسعيّة مستمرّة إلى أن سيطروا على العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ثمّ استمرّ توسّعهم في بلاد الشّام، الجالودي، عليان عبدالفتاح، الإقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (٤٢٩هـ/١٠٣٧م-٤٨٦هـ/١٠٩٢م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج٢، ع١، ٢٠٠٨م، ص٤٧- ٤٩.

(٤٢) نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه واله وسلم وهي أسرة تعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي ، أسست حكمها في المغرب على يد أبو محمد عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م)، ولكن انتقل حكمهم إلى مصر في عهد رابع خلفائهم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٢هـ/٩٥٢-٩٧٢م) وبذلك تأسست الدولة الفاطمية في مصر واستمرت حتى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، عندما قضى عليها صلاح الدين الأيوبي ، حسن، زكي محمد، كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م، ص٧.

(٤٣) الواسطي، أبو بكر محمد بن أحمد الخطيب (ت القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، فضائل البيت المقدس، تحقيق: عصام الشطي وطارق محمد، ط١، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، نيقوسيا، قبرص، ٢٠١٠م، ص٨٩، ٩٠.

(٤٤) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط١، مؤسسة الهنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٣٩٥.

(٤٥) هو معلى بن حيدرة الكتامي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) دخل في صراع على الحكم مع مجموعة من ولاة الفاطميين، وبعد أن تولى حكم دمشق خشي من الثورة فهرب إلى بانياس ثم طرابلس ثم عاد إلى مصر وقتل فيها، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر التدمري، ط٢، ٥٢ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٠، ص٤٩٩، وسيشار له لاحقاً : الذهبي ، تاريخ الإسلام .

(٤٦) ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، ١ج، دار الإحسان، دمشق، ١٩٨٣ م، ص١٦١، وسيشار له لاحقاً : ابن القلانسي ، تاريخ دمشق .

(٤٧) يلاحظ أنّ ابن القلانسي يذكره بلقب زين الدولة، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٧٤، بينما يذكره ابن عساكر باسم رزين الدولة، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٣١٠، والأرجح لفظ ابن عساكر، لأنه ورد عند ابن الأثير أيضاً رزين الدولة، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٥٦، وابن منظور ذكره باسم رزين الدولة، وتولى إمارة دمشق بعد هرب معلى بن حيدرة سنة ٤٦٨هـ/١٠٦٩م وعرف بحسن سيرته واستقامته في الحكم، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت٧١١هـ/١٣١٢م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، ط١، ٢٩ج، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م، ج٥، ص٦٠.

(٤٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٢٥٨.

(٤٩) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٧٤.

(٥٠) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٢٥.

(٥١) البكري، أبو عبيد الله عبدالله الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، ط٣، ٤ج، عالم الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص١٣٧.

(٥٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص١٤٧.

(٥٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين وأخرون ط١ ، ٩ج ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج٤، ص٨٦، وسيشار له لاحقاً: القلقشندي، صبح الأعشى.

(٥٤) الصوري، وليم (ت١١٨٥م)، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ط١، ٤ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٢، ص٨١، وسيشار له لاحقاً: الصوري، الحروب الصليبية.

(٥٥) الشارتري، فوشية (ت١١٢٧م)، تاريخ الحملة الى القدس، تحرير هارولد فينك، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق، عمان، د:ت، ص٧٩، وسيشار له لاحقاً: الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس.

(٥٦) العريني، السيد الباز، نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مج ٢٢، ج٢، كانون أول، ١٩٥٨م، ص٦٣، وسيشار له لاحقاً: العريني، نمو طبقة النبلاء.

(٥٧) مجموعة من المؤلفين، الأمكنة، مجلة البحوث الإسلاميّة، ٩٧ج النّسخة الإلكترونيّة للمكتبة الشّاملة، د:ت، ج٩٧، ص٢٩٦.

(٥٨) اسم اصطلح عليه على منطقة الدراسة من قبل الدراسات الحديثة، للمزيد انظر الدويكات، فؤاد عبدالرحيم، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف د. محمد عيسى صالحية، الأردن، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٥م، وسيشار له لاحقاً: دويكات، إقطاعية شرق الأردنّ، والعريني، نمو طبقة النبلاء، ص٦٣.

(٥٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ص٨٦.

(٦٠) هو نهر للشرق من عمان ، ويصل في مسيرة إلى السلط ثم إلى غور نهر الأردنّ غرباً ، كرد علي، محمد، عمران الكرك، مجلة المقتبس، دمشق ، ع ٥٨، ١ كانون الأول١٩١٠م، ص٤٠.

(٦١) سواد أرض الأردنّ مصطلح جغرافي أطلق على حوض نهر الأردن في العصر العباسي تفريقا له عن أرض السواد في العراق، الشيبي، يوسف محمد، الأردن في فترة الحكم العباسي، مقالة منشورة إلكترونيا، https://www.almadenahnews.com/article، ٢٠١٣/١٠/١٩م.

(٦٢) مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية المعربة ، تحرير: م. ت. هوتسما واخرون، ترجمة: مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية، ط١، ٣٣ج، مركز النخب العلمية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٨٧-٥٩٣، وسيشار له لاحقاً: مجموعة من المؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية .

(٦٣) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، ط١، ١ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٦٥، ١٦٦، وسيشار له لاحقاً: اليعقوبي، البلدان.

(٦٤) سبيتان، سمير ذياب، الجغرافيا العسكرية، ط١، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢م، ص١٩٦، وسيشار له لاحقاً: سبيتان، الجغرافيا العسكرية.

(٦٥) سبيتان، الجغرافيا العسكرية ، ص١٩٨.

(٦٦) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١، ٥ج، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ج١، ص٢٥٦، وسيشار له لاحقاً: ابن بطوطة، تحفة النظار.

(٦٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٩.

(٦٨) مجموعة من المؤلفين، دائرة المعارف، مرقمة الكترونياً للمكتبة الشاملة، ج٩، ص٥٢٥. https://al-maktaba.org/book/33541

(٦٩) رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية (مملكة القدس١١٠٠م/١١٨٧م)، ترجمة نور الدين خليل، ط١، ٣ج، مطبعة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٢٩، وسيشار له لاحقاً: رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية.

(٧٠) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص١٥٧، ١٥٨

(٧١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٣.

(٧٢) مجموعة من المؤلفين، مجلة البحوث الإسلاميّة، الجزء ٩٧ الأمكنة، ص٢٩٦.

(٧٣) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٢٤٠.

(٧٤) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص١٠٩، ١١٠.

(٧٥) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٧٩.

(٧٦) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص١٠٩.

(٧٧) براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، ترجمة: عبدالحافظ البنا، ط١، عين للدراسات للبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣١– ٣٥، وسيشار له لاحقاً: براور، الاستيطان الصليبي.

(٧٨) براور، الاستيطان الصليبي ، ص٦٢.

(٧٩) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٤٤–٢٤٨.

(٨٠) الهاشمي، طه، الجغرافيا العسكرية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٨م، ص٧٨، وسيشار له لاحقاً: الهاشمي، الجغرافيا العسكرية.

(٨١) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٨٣.

(٨٢) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٠٤.

(٨٣) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج٢، ص١٣٠.

(٨٤) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص١٥٧.

(٨٥) براور، الاستيطان الصليبي، ص٤٠.

(٨٦) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٤٧٥، ٤٧٦.

(٨٧) ارناط أو رينيه دي شاتليون كما في اللفظ الفرنسي، فارس فرنجي قدم إلى بلاد الشام مع الحملة الفرنجية الثانية سنة ٥٤٣هـ/١١٤٩م وقع في أسر نور الدين مدة من الزمن ثم أصبح أميراً للكرك، وهو من الأسرى الذين قتلوا بعد معركة حطين، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤١، ص١٩.

(٨٨) براور، الاستيطان الصليبي، ص٦٢، ٦٣.

(٨٩) دوفية، سيدريك، قرن من الإنفصال، الأردن في عهد الفرنجة (١٠٩٩–١١٨٩م)، فصل من دراسة الأردن في العهدين الأيّوبيّ والمملوكيّ، موقع أطلس الأردن، ATLAS OF JORDAN، ٢٠١٣، ص١٨٠، وسيشار له لاحقاً: دوفية، قرن من الإنفصال.

(٩٠) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د: ت، ص٢٤٥، وسيشار له لاحقاً: ابن جبير، رحلة ابن جبير.

(٩١) ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، النسخة الالكترونية للمكتبة الشاملة،(د: ت) ، ص٢٧، وسيشار له لاحقاً: ابن منقذ، الاعتبار.

(٩٢) كرد علي، عمران الكرك، ص٤٠.

(٩٣) الدويكات، إقطاعية شرق الأردنّ، ص٣٦، ٣٧.

(٩٤) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٣١.

(٩٥) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج٢، ص١١٨.

(٩٦) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية،ج٢، ص١٢٠، ١٢١.

(٩٧) قائد عسكري سلجوقي، سلمه الأمير السلجوقي رضوان بن تتش حكم دمشق سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م، وكان على عداء شديد مع الفرنجة، للمزيد أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٧٨.

(٩٨) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبيّة، ج٢، ص١٢٦، ١٢٧.

(٩٩) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٦٣، ٢٦٤.

(١٠٠) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٦٩.

(١٠١) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٢٩.

(١٠٢) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٢٠١– ٢٠٣.

(١٠٣) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٢٠٥.

(١٠٤) العريني، نمو طبقة النبلاء، ص٤٥.

(١٠٥) العريني، نمو طبقة النبلاء، ص٦٣.

(١٠٦) العريني، نمو طبقة النبلاء، ص٤٤.

(١٠٧) كرد علي، عمران الكرك، ص٥٢.

(١٠٨) براور، الاستيطان الصليبي، ص٣٦– ٣٩.

(١٠٩) براور، الاستيطان الصليبي ، ص٦٣.

(١١٠) براور، الاستيطان الصليبي ، ص٣٣.

(١١١) وهو حصن يقع في الجهة الشرقية لبحيرة طبرية، شمال الجليل بالقرب من منابع نهر اليرموك، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٦.

(١١٢) رانسيمان، تاريخ الحملات الفرنجية، ج٢، ص٤٠٤.

(١١٣) رانسيمان، تاريخ الحملات الفرنجية ، ج٢، ص٤٤٤، ٤٤٥.

(١١٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٦، ص٥٦٧، وسيشار له لاحقاً: ابن كثير، البداية والنهاية.

(١١٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج١، ص٢٣٤.

(١١٦) ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم (ت٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٢٥، وسيشار له لاحقاً: ابن شداد، النوادر السلطانية.

(١١٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص٥٧٠.

(١١٨) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط١، ١ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٠٠، وسيشار له لاحقاً: ابن العديم، زبدة الحلب، وابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٥٩.

(١١٩) بني عمار هي إمارة أقيمت على سواحل بلاد الشام شملت كل من عكار ثم طرابلس ثم جبيل ويرجع نسب بنو عمار إلى الجزيرة العربية إما الامارة فتأسست على يد أمين الدولة أبو طالب بن عمار (ت٤٦٤هـ/١٠٧٢م)، وكان حليف للدولة الفاطمية كونهما يتبعان لنفس المذهب الشيعي، النويري، أحمد

بن عبد الوهاب بن محمد (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ٣٣ج، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج٣١، ص٥١، وسيشار له لاحقاً: النويري، نهاية الأرب.

(١٢٠) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٩٠.

(١٢١) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٢٠٤.

(١٢٢) قائد سلجوقي يعرف باسم مودود بن التونتكين كان أحد قادة السلاجقة في الموصل لكنه قدم إلى دمشق وتوفي في نفس السنة أي ٥٠٦هـ/١١١٣م نتيجة لتعرضه للطعن في إحدى معاركه مع الفرنجة، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٩٢.

(١٢٣) الشارتري، تاريخ الحملة على القدس، ص١٥١- ١٥٣.

(١٢٤) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٥٧.

(١٢٥) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص١٨٧- ١٩١.

(١٢٦) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٣٠.

(١٢٧) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج٢، ص١٨٧، ١٧٩.

(١٢٨) براور، الاستيطان الصليبي، ص٣٥، ٣٦.

(١٢٩) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٢٦٨، ٢٦٩.

(١٣٠) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٢٦٤.

(١٣١) سبيتان، الجغرافيا العسكرية، ص٩٨.

(١٣٢) مجموعة من المؤلفين، التعريف بالأماكن في البداية والنهاية، ج٢، ص٣٧٠.

(١٣٣) الملا جاسم، ناصر عبدالرزاق، مكانة الكرك الاستراتيجية بين الناصر داوود والملك الصالح أيوب، ضمن ندوة إضاءات على إمارة الكرك الأيوبيّة، جامعة آل البيت، الأردن ٢٠٢١/١٢/٩م، الشريحة الإلكترونية رقم ٨.

(١٣٤) محمد، أحمد عبدالفتاح حسين، التّحصينات الحربيّة والأسوار الحربية بالكرك خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ضمن ندوة إضاءات على إمارة الكرك الأيوبية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٢١/١٢/٩م، الشريحة الالكترونية رقم ١٠.

(١٣٥) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٢٦٨.

(١٣٦) مجموعة من المؤلفين، الأمكنة، مجلة البحوث الإسلاميّة، ٩٧ ج النّسخة الإلكترونيّة للمكتبة الشّاملة، الجزء ٩٧، ص٢٩٦.

(١٣٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٣٤٥.

(١٣٨) شيخو، لويس، مجاني الأدب في حدائق العرب، ط١، ٦ج، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م، ج١، ص٢١٨، وسيشار له لاحقاً: شيخو، مجاني الأدب.

(١٣٩) ذكر بعدة أسماء في المصادر التاريخية: حيث كتب تهجئته ابن القلانسي في تاريخ دمشق التونتاش، ص٤٥٢، بينما لم يذكره ابن واصل في أحداث سنة ٥٤١هـ، للمزيد انظر: ابن واصل، محمّد بن سالم بن نصر الله (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع، ط١، ٥ج، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص١١٠، وسيشار له لاحقاً: ابن واصل،

مفرج الكروب، ولفظ بالتون طاش لدى ابن الدواداري، للمزيد انظر: الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي)، كنز الدرر وجامع الغرر، مجموعة من المحققين، حقق الجزء السادس صلاح الدين المنجد، ٩ج، نشر الجزء السادس في القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص٥٦٩ وربما يعود ذلك إلى صعوبة تهجئة هذا العلم الأعجمي، ولكن اعتمدت كتب المراجع التاريخية الحديثة لفظ التونتاش.

(١٤٠) قائد سلجوقي كان أمير دمشق عاصر عماد الدين زنكي ، وتزوج من إبنه نور الدين زنكي، وتوفي في دمشق سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٢٣.

(١٤١) عوض، محمد مؤنس، السياسة الخارجية للدولة النورية (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)، ط١، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٤٠- ١٤٢، وسيشار له لاحقاً: عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية.

(١٤٢) عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية، ص١٤٣-١٤٦.

(١٤٣) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبيّة، ج٢، ص٣٨٨- ٣٩٠.

(١٤٤) نشأ هذا التّنظيم في أوروبا في أوائل القرن الثّاني عشر كتنظيم دينيّ، ولكن بعد انضمام هيو (Hugues of Payens) أميّر مقاطعة شامبين في فرنسا إلى التنظيم قرّر نقله إلى القدس ، وتحوّل التنظيم فيما بعد إلى تنظيم عسكريّ على يده سنة ٥١٢هـ/١١١٩م بهدف حماية وتسهيل الطّريق أمام الحجّاج القادمين إلى بيت المقدس وسمّوا فرسان الدّوايّة بفرسان الهيكل أو المعبد نسبة إلى هيكل سليمان الذي كان قريباً من مقرّهم، كاهين، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، ط١، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٣٥، وسيشار له لاحقاً: كاهين، الشرق والغرب.

(١٤٥) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٤٥٠- ٤٥٦.

(١٤٦) كاهين، الشرق والغرب ، ص ١٣٧ ، و رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية،ج٢، ص٤٥٨- ٤٦٢.

(١٤٧) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج٢، ص٤٩٥- ٤٩٩.

(١٤٨) أبو شامة المقدسي، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٥ج، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦، وسيشار له لاحقاً: أبو شامة، الروضتين.

(١٤٩) الهاشمي، الجغرافيا العسكرية، ص٤٩.

(١٥٠) أبو خليل، شوقي، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، ط١ دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٧٨.

(١٥١) للمعركة اسم آخر هو عين كريسون، عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية (١٠٩٥- ١٢٩١م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٢٩، وسيشار له لاحقاً: عمران، الحروب الصليبية.

(١٥٢) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، د:ت، ج٦، ص٣٢.

(١٥٣) عمران، الحروب الصليبية، ص١٣٠، ١٣١.

(١٥٤) البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، مختصر سنا البرق الشامي، مرقم الياً للمكتبة الشاملة، د:ت، ص١٤٠.

(١٥٥) ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د:ت، ج١٥، ص٣٦.

(١٥٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤.

(١٥٧) البنداري، مختصر سنا البرق، ص١٤١.

(١٥٨) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٥٢٦.

(١٥٩) المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٧٩، وسيشار له لاحقاً: المقدسي، أحسن التقاسيم.

(١٦٠) لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخيّة للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص٤٣، ٤٤، وسيشار له لاحقاً: لومبارد، الجغرافيا التاريخية.

(١٦١) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية،ج٢، ص١٢٩.

(١٦٢) مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف، ج٢١، ص٦٥٧١.

(١٦٣) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة التاريخيّة، إشراف علوي عبدالقادر السقاف، ١١ج، ١٤٣٣هـ، النسخة الإلكترونيّة للمكتبة الشاملة،، د:ت، ج٥، ص٤.

(١٦٤) دوفيه، قرن من الإنفصال، ص١٨٠.

(١٦٥) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٧٩.

(١٦٦) براور، الاستيطان الصليبي، ص٣٨.

(١٦٧) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٥٠٠.

(١٦٨) سميل، ر. سي، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧/١١٩٣م)، ترجمة: محمد وليد الجلاد، ط١، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٥م، ص٤٩، وسيشار له لاحقاً: سميل، فن الحرب.

(١٦٩) حسن، محمد صديق، سياسية الأيوبيين الزراعية في بلاد الشام، مجلة آداب الرافدين، ع٤٨، ٢٠٠٧م، ص٤-٧، وسيشار له لاحقاً: حسن، سياسة الأيوبيين الزراعية.

(١٧٠) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٩٢م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، ٢٧ ج، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص٥٥٠، وسيشار له لاحقاً: العمري، مسالك الأبصار، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦٣.

(١٧١) أبو دلو، ربى أحمد، معاصر السكر في غور الأردن في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين في ضوء المصادر التاريخية والمكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د. صالح خالد ساري، جامعة اليرموك، معهد الآثار الأنثروبولوجيا، إربد، الأردن، ١٩٩١م، ص٤١- ٤٣.

(١٧٢) الدويكات، فؤاد عبدالرحيم، إقطاعية طبرية في الصراع الصليبي الإسلامي (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د. صالح محمد أبو دياك، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٦م، ص٢٣١، وسيشار له لاحقاً: الدويكات، إقطاعية طبريا.

(١٧٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٦٦.

(١٧٤) القارئ، دارسات في أصول اللغات، ص١٢٣.

(١٧٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٧.

(١٧٦) السمعاني، الأنساب، ج١٠، ص١٩٧، وللمزيد حول مشاهدات السمعاني خلال رحلته في المنطقة أنظر : الجالودي ، عليان عبدالفتاح ، السمعاني مؤرخاً ، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الرسالة ٤٦٠، الحولية ٣٧. ١٤٣٧ هـ / سبتمبر (ايلول) ٢٠١٦م ، ص ٦٣، ٦٤

(١٧٧) الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٥، ١٨٦.

(١٧٨) دويكات، إقطاعية شرق الأردنّ، ص٣٧.

(١٧٩) الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٥– ١٨٦.

(١٨٠) رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣٧.

(١٨١) البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط١، المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، ١٩٧٦م، ص٥، وسيشار له لاحقاً: البخيت، مملكة الكرك.

(١٨٢) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٠٤.

(١٨٣) أحد أمراء السلاجقة في الموصل، قدم إلى دمشق سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، لينضم إلى خدمة الأمير طغتكين السلجوقي، القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٥٤.

(١٨٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق ، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(١٨٥) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٥٥، وسبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، ٢٣ج، دار الرسالة، دمشق، ٢٠١٣م، ج٢٠، ص٧.

(١٨٦) دويكات، إقطاعية شرق الأردنّ، ص٤١.

(١٨٧) يقصد بأدوم في القرن السادس هجري/ الثاني عشر الميلادي، المناطق الممتدة من صحراء النقب إلى جنوب البحر الميت ثم بصيرا إلى معان، الطويل، يوسف، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ط٢، ٤ج، صوت القلم العربي، مصر ٢٠١٠م، ج١، ص٣٤١.

(١٨٨) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص١٢٨.

(١٨٩) جبل في عجلون ينسب إلى قبيلة بني عوف القضاعية القحطانية، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٩، وهي قبائل توطنت في جبال عجلون، و كانت هذه القبائل ذات بأس ، ولكنهم كانوا على نزاع دائم فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين الأيوبيين من جهة أخرى، ابن شداد، عز الدين محمد الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، نسخة إلكترونية للمكتبة الشاملة، د:ت، ص٧٦، وسيشار له لاحقاً: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة.

(١٩٠) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٩، و ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٦٤.

(١٩١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٤٣.

(١٩٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٩٦.

(١٩٣) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ١٢٧، ١٢٨.

(١٩٤) هو سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الأسدي، أحد أمراء العرب في العراق وحاكم الأمارة المزيدية ومركزها مدينة الحلة ، التي كانت على عداء مع السلاجقة، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٤٩.

(١٩٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٥١.

(١٩٦) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص١٥١، ١٥٢.

(١٩٧) البخيت، مملكة الكرك، ص٥.

(١٩٨) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٤٧٩.

(١٩٩) وهو من أقدم التّنظيمات الفرنجيّة في الشّرق وأقواها، وتعود جذوره إلى قبل الحملات الفرنجيّة، حيث قدموا إلى الشّرق بهدف إقامة مستشفى لعلاج المرضى من الحجّاج الأوروبيّين، ومع قدوم الحملة الأولى وفّر المستشفى العلاج لجرحى الفرنجة وفي سنة ٥٠٦هـ/١١١٣م، تقرّر تحويل التّنظيم إلى تنظيم عسكريّ على يد ريموند دي بوي (Raymond of Puy) وهو رئيس دير القدّيس يوحنّا في ذلك الوقت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وأطلق عليهم اسم فرسان القدّيس يوحنّا، كاهين، الشرق والغرب، ص١٣٥.

(٢٠٠) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج٢، ص٤٦٣.

(٢٠١) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج٢، ص١٣٠، ١٣١.

(٢٠٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٦٥-١٦٧.

(٢٠٣) براور، الاستيطان الصليبي، ص٣٦.

(٢٠٤) دوفية، قرن من الإنفصال، ص١٨٠.

(٢٠٥) براور، الاستيطان الصليبي، ص٣١.

(٢٠٦) سميل، فن الحرب، ص٩٢.

(٢٠٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٧٣.

(٢٠٨) براور، الاستيطان الصليبي، ص٦٠.

(٢٠٩) غوانمة، يوسف حسن، التجارة وسياسة الاعتدال والتسامح بين المسلمين والفرنج في عهد صلاح الدين، منشور ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي، الفرنجي (٤٩١-٦٩٠هـ / ١٠٩٧-١٢٩١م)، ٢ج ، تحرير سليمان خرابشة جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٠م، ص٢٢٤.

(٢١٠) حسن، سياسة الأيوبيين الزراعية، ص١٠.

(٢١١) نسبة إلى مدينة هكاري الكردية جنوب آسيا الصغرى ومعظم سكانها من الأكراد، الكرملي، انستاس، اللغة الكردية، مجلة لغة العرب، مطبعة الآداب، ع ٦٠، بغداد، ١٩٢٨/٦/١م، ص٤٤١.

(٢١٢) الصويركي، محمد علي، الأكراد الأردنيون ودورهم في بناء الأردن الحديث، مركز جلجامش للدراسات والبحوث الكردية، كردستان العراق، ٢٧ نيسان ٢٠٠٩م ، ص ١٢ .

(٢١٣) البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠١٢.

(٢١٤) غرايبة، إبراهيم، الأكراد الأردنيون، صحيفة الغد، ٢٥ تموز ٢٠١١م، ص٧٣، الموقع الالكتروني للصحيفة https://alghad.com/author/ibrahim-gharaibeh/page/73/

(٢١٥) دوفية ، قرن من الإنفصال، ص١٨٣.

(٢١٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٧٦.

(٢١٧) أمير أيوبي كان صاحب عجلون في عهد صلاح الدين الأيوبي كما كانت توكل إليه مهمة إمارة الحج الشامي في بعض الأحيان، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص١١٩.

(٢١٨) القلقشندي، صبح الإعشى، ج٤، ص٨٩.

(٢١٩) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٧٦.

(٢٢٠) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، أعيان العصر وأعوان النصر، ط١، ٥ج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الأثير، أبوالحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبدالسلام التدمري، ط١، ١٠ج، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م.

٢- ـــــــــــــ، اللباب في تهذيب الأنساب، ط١، ٣ج، دار صادر، د: ت.

٣- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١، ٥ج، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

٤- البكري، أبو عبيد الله عبدالله الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، ط٣، ٤ج، عالم الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٥- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٦- البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، مختصر سنا البرق الشامي، مرقم الياً للمكتبة الشاملة، د:ت.

٧- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، د:ت.

٨- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د:ت.

٩- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، ١٩ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م

١٠- الحميري، عبدالملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، التيجان في ملوك حميّر، ط١، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ.

١١- الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/١١٧٨م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وأخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.

١٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، ٨ ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٣- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، (ت القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي)، كنز الدرر وجامع الغرر، مجموعة من المحققين، ٩ج، القاهرة، ١٩٦١م.

١٤- الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر التدمري، ط٢، ٥٢ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥- الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، ٤٠ ج، دار الهداية، غزة، د:ت.

١٦- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، ٢٣ج، دار الرسالة، دمشق، ٢٠١٣م.

١٧- ابن سعد، ابو عبدالله محمد البغدادي (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ٨ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٨- السمعاني، عبد الكريم بن محمد المروزي (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)، الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي وآخرون، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م .

١٩- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، الاعتصام، ط١، ٣ج، تحقيق: محمد الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٨م.

٢٠- أبو شامة المقدسي،أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٥ج، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٢١- ابن شداد، عز الدين محمد الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، نسخة الكترونية للمكتبة الشاملة، د:ت.

٢٢- ابن شداد،يوسف بن رافع بن تميم (ت٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين شيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٣- الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي، (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)، شرح مقامات الحريري، ط٢، ٣ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، أعيان العصر وأعوان النصر، ط١، ٥ج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٥- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط١، ١ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٦- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ٨٠ج، دارالفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م.
٢٧- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٨- العمري،أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت٧٤٩هـ/١٣٩٢م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، ٢٧ج، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.
٢٩-البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ٦ج، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ.
٣٠- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الإحسان، دمشق، ١٩٨٣م.
٣١- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين. ج٥، نبيل خالد الخطيب، وج٦، والأجزاء من ٨-٩. يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
٣٢- ــــــــــــ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٤- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبدالعزيز الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٩٣٦م.
٣٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، ط١، ٤ج، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ٢٠٠٥م.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

٣٦- المعافري، سعيد بن محمد ابن حداد القرطبي، (ت بعد ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، الأفعال، تحقيق: حسين شرف، د:ط، ٤ج، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

٣٧- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل (ت٧١١هـ/١٣١٢م)، لسان العرب، تحقيق: اليازجي ومجموعة من اللغويين، ط٣، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٩- ــــــــــــــــ ، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، ط١، ٢٩ج، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.

٤٠- ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، الثقافة الدينية، مصر، النسخة الإلكترونية للمكتبة الشاملة،، د:ت.

٤١- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ٣٣ج، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٤٢- الهمداني،أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م)، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٨٤م.

٤٣- الواسطي، ابو بكر محمد بن أحمد الخطيب (ت القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، فضائل البيت المقدس، تحقيق: عصام الشطني وطارق محمد، ط١، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، نيقوسيا، قبرص، ٢٠١٠م.

٤٤- ابن واصل، محمّد بن سالم بن نصر الله (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع، ط١، ٥ج، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٤٥- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، ٧ج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٦- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، ط١، ١ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

المصادر الفرنجية المترجمة:

٤٧- الشارتري، فوشية (ت١١٢٧م)، تاريخ الحملة إلى القدس، تحرير هارولد فينك، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق، عمان، د:ت.

٤٨- الصوري، وليم (ت١١٨٥م)، الحروب الصليبية، ترجمة حسن الحبشي، ط ١، ٤ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

٤٩- البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط١، المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، ١٩٧٦م.

٥٠- براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، ترجمة: عبدالحافظ البنا، ط١، عين للدراسات للبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥١- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م.

٥٢- حسن، زكي محمد، كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.

٥٣- دسوقي، محمد عزب، القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥٤- الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة (أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥٥- ديورانت، ويل و وايرل، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د:ت.

٥٦- رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية (مملكة القدس١١٠٠م/١١٨٧م)، ترجمة نور الدين خليل، ط٣،١ج، مطبعة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٧- سبيتان، سمير ذياب، الجغرافيا العسكرية، ط١، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢م.

٥٨- سميل، ر. سي، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧/١١٩٣م)، ترجمة محمد وليد الجلاد، ط١، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٥م.

٥٩- شيخو، لويس، مجاني الأدب في حدائق العرب، ط١، ٦ج، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.

٦٠- الطويل، يوسف، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ط٢، ٤ ج، صوت القلم العربي، مصر ٢٠١٠م.

٦١- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ٢٠ج، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م.

٦٢- عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٦٣- عوض، محمد مؤنس، السياسة الخارجية للدولة النورية (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)، ط١، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٦٤- القارئ، عبدالعزيز، دراسات في أصول اللغات العربية، ط٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٧٤م.
٦٥- كاهين، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، ط١، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٥م.
٦٦- كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، ٥ج ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص ٦٨٧
٦٧- كرد علي، محمد، خطط الشام، ط٣، ٦ج، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.
٦٨- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط١، مؤسسة الهنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٦٩- لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخيّة للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
٧٠- مجموعة من المؤلفين، معجم الشعراء العرب، مرقم الياً للمكتبة الشاملة، د:ت.
٧١- الهاشمي، طه، الجغرافيا العسكرية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٨م.

ثالثاً : الموسوعات

٧٢- مجموعة من المؤلفين، الأمكنة، مجلة البحوث الإسلاميّة، ٩٧ج، النّسخة الإلكترونيّة للمكتبة الشّاملة، د:ت.
٧٣- مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير م. ت. هوتسما وآخرون، ترجمة: مجموعة من اساتذة الجامعات المصرية، ط١، ٣٣ج، مركز النخب العلمية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٧٤- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة التاريخيّة، إشراف علوي عبدالقادر السقاف، ١١ج، ١٤٣٣هـ، النسخة الإلكترونيّة للمكتبة الشاملة،، د:ت.

رابعاً : البحوث والمقالات

٧٥- الجالودي، عليان عبدالفتاح، الإقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (٤٢٩هـ/١٠٣٧م-٤٨٦هـ/١٠٩٢م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٢، ع ١، ٢٠٠٨م.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

٧٦ - ـــــــــــــــ ، السمعاني مؤرخاً ، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الرسالة ٤٦٠، الحولية ٣٧. ١٤٣٧ هـ / سبتمبر (ايلول) ٢٠١٦م

٧٧- حسن، محمد صديق، سياسية الأيوبيين الزراعية في بلاد الشام، مجلة آداب الرافدين، ع ٤٨، ٢٠٠٧م.

٧٨- الصويركي، محمد علي، الأكراد الأردنيون ودورهم في بناء الأردن الحديث، مركز جلجامش للدراسات والبحوث الكردية، كردستان العراق، ٢٧ نيسان ٢٠٠٩م.

٧٩- العريني، السيد الباز، نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مج ٢٢، ج٢، كانون أول، ١٩٥٨م.

٨٠- غرايبة، إبراهيم، الأكراد الأردنيون، الموقع الالكتروني لصحيفة الغد، ٢٥ تموز ٢٠١١م. https://alghad.com/author/ibrahim-gharaibeh/page/73

٨١- غوانمة، يوسف حسن، التجارة وسياسة الاعتدال والتسامح بين المسلمين والفرنج في عهد صلاح الدين، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الاسلامي، الفرنجي (٤٩١-٦٩٠هـ)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٠م.

٨٢- كرد علي، محمد،عمران الكرك، مجلة المقتبس، ع ٥٨، ١-١٢-١٩١٠م.

٨٣- الكرملي، انستاس، اللغة الكردية، مجلة لغة العرب، مطبعة الآداب، ع ٦، بغداد، ١٩٢٨/٦/١م.

٨٤-محمد، أحمد عبدالفتاح حسين، التّحصينات الحربيّة والأسوار الحربية بالكرك خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مصر، ضمن ندوة إضاءات على إمارة الكرك الأيوبية، ندوة غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٢١/١٢/٩م.

٨٥- الملا جاسم، ناصر عبدالرزاق، مكانة الكرك الاستراتيجية بين الناصر داوود والملك الصالح أيوب، العراق، ضمن ندوة إضاءات على إمارة الكرك الأيوبيّة، ندوة غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن ٢٠٢١/١٢/٩م.

خامساً : الرسائل العلمية الجامعية الغير منشورة:

٨٦- أبو الدلو، ربى أحمد، معاصر السكر في غور الأردن في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين في ضوء المصادر التاريخية والمكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د. صالح خالد ساري، جامعة اليرموك، معهد الآثار الأنثروبولوجيا، إربد، الأردن ١٩٩١م

٨٧- الدويكات، فؤاد عبدالرحيم، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية (٤٩٢ – ٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف د. محمد عيسى صالحية، الأردن، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٥م.

٨٨- الدويكات، فؤاد عبدالرحيم،، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د صالح محمد أبو دياك، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٦م.

سلدساً : المواقع الألكترونية

٨٩- دوفية، سيدريك، قرن من الإنفصال، الأردن في عهد الفرنجة(١٠٩٩/١١٨٩م)، فصل من دراسة الأردن في العهدين الأيّوبيّ والمملوكيّ، موقع أطلس الأردن، ATLAS OF JORDAN، 2013م، https://books.openedition.org/ifpo/4560

٩٠- الشيبي، يوسف محمد، الاردن في فترة الحكم العباسي، مقالة منشورة إلكترونياً، https://www.almadenahnews.com/article، 19/10/2013م

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies